

1985



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الانسانية

قسم الفلسفة

1985



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

العنوان :

مفهوم الديمقراطية

عند آلان تورين

مذكرة مكملتنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إشراف الدكتور:

زروخي الدراجي

إعداد الطالبة:

ربيع سهيلة

السنة الجامعية: 2016/2017

الافضل



ما أجمل أن نمضي وراء أحلامنا ونمنحها جزءاً من مروحنا و

الأجمل من ذلك أن يتحول الحلم إلى حقيقة، فالحلم كان لي

والحقيقة كانت بمساعدة غيري

أهدي ثمرة جهدي إلى الأستاذ المشرف ز مروخي الدراجي الذي

لم يخل علي بالمعرفة يوماً مقدماً لي النصيح والتوجيه وإلى الوالدين

الكريمين مراجية من المولى عز وجل أن يمنحهما تمام الصحة

والعافية وإطال الله في عمر بهما وإلى إخوتي مصطفى عمر منى

ونور الهدى وإلى كل صديقاتي كل باسمها وإلى زملاء

ونرميلات القسم .



شكراً واحساناً داماً سروراً وسرماناً

الشكر والفضل لله أولاً على توفيقه وتسديده وإيمانه وعونه
وقوته لي على إتمام هذا العمل بالشكر لك ربي شكراً يليق
بوجهك وجلال سلطانك

كما أرفع أسمي عبارات الشكر والتقدير إلى جميع أساتذتي في
جميع المراحل التعليمية والشكر موصول إلى الدكتور زروخي
الدراجي الذي مد لي يد العون والمساعدة كما أشكر كل
أساتذة القسم على الجهود المبذولة خلال خمس سنوات
ملئها الحبُّ والعطاء .



مقدمة

مقدمة:

عُرف الإنسان على أنه كائن اجتماعي لا يمكنه أن يعيش بمفرده فهو بحاجة إلى غيره من بني جنسه وبتزايد هذه الحاجيات اليومية ازداد عدد المجموعات وتآلفها فيما بينها فأصبحت التجمعات البشرية تتزايد مع مرور الزمن لكن بقائها على طبيعتها الأولى باتت تشبه إلى حد بعيد تلك التجمعات الحيوانية، فعمل العقل البشري على تغيير هذا الوضع ليتحول من التجمعات البشرية شبه الحيوانية إلى تجمعات مدنية لتظهر الحياة المدنية لتنظيم الجماعات البشرية لتبرز السياسية، وهي نظام حكم معين له شروطه ومميزاته فالحياة السياسية مناخ سياسي سائد داخل مجتمع معين وفق آليات ضد المجتمع وفي حدود إمكانياته تكون الحياة السياسية، ومن هنا تغير تعريف الانسان القديم ليعرف تعريفا سياسيا- الانسان حيوان سياسي- وبسبب اختلاف الطبائع البشرية والحالات الاجتماعية وربما حتى المناخ والطبيعة الجغرافية لها دورها على السياسة مما أدى إلى تنوع في الأنظمة السياسية من فترة إلى أخرى بحسب الأوضاع والظروف ومن بين هذه الأنظمة : النظام الملكي النظام الأرستقراطي، الديكتاتورية، لتظهر بعد أنظمة أكثر رحمة بالأفراد كالجهورية والليبيرالية والديمقراطية.

فالنظام الديمقراطي يُعرف على أنه حكم الشعب، بمعنى أن الحاكم مخير من طرف الشعب، فلا يمكن للحاكم الديمقراطي أن يتولى منصب حاكم أو رئيس البلاد إلا بتصويت المواطنين، وهذا ما يُعرف بالعملية الانتخابية يشترط فيها الحرية، أي حرية اختيار الحاكم بعيداً عن أي ضغوطات أو توجيهات لكل مواطن حرّ في اختيار الحاكم الذي يراه مناسباً للحكم بإعطائه صوته في الانتخابات الرئاسية.

ظهرت الديمقراطية في بدايتها بمثابة المنقذ أو الحل الأمثل للأفراد والمقصود بالأفراد هنا فئة العبيد والفلاحين والطبقة العامة البسيطة منتهكة الحقوق ومسلوبة الإرادة من طرف السادة والأقوياء وأصحاب المال من لهم تأثير كبير على السلطة يمارسون مختلف أشكال الجور على الفئة الضعيفة من المجتمع. وهذا ما أسال حبر الفلاسفة والمفكرين والنقاد على اختلافاتهم الفكرية والمذهبية والثقافية والعقائدية وتوجهاتهم السياسية إلى أن وحدة الموضوع جمعت بين هؤلاء، نجد عالم الاجتماع الفرنسي آلان تورين الذي عالج النظام السياسي الديمقراطي من عدة زوايا، اهتم آلان تورين بنظام الحكم الديمقراطي على غرار الأنظمة السياسية الأخرى فمع نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين عرف المجال السياسي العديد من التغيرات بسبب الظروف واندلاع الحربين العالميتين الأولى والثانية، وانقلاب الوضع السياسي العالمي رأساً على عقب لتتغير كل المفاهيم .

هل الديمقراطية التي يبحث عنها آلان تورين ديمقراطية سياسية؟ وهل يمكن للديمقراطية أن تحرز تقدماً بعيداً عن الذات الفاعلة للمواطن والفاعلين الاجتماعيين؟

كيف كان تطور الديمقراطية عبر العصور؟ وبما أن مفهوم القومية يتعارض ومفهوم الديمقراطية فهل شكلت القومية عائقاً أمام تقدم الديمقراطية؟ وهل هناك علاقة بين الليبرالية والديمقراطية؟ وما هي الأبعاد والصّور التي قدمها الآن تورين للديمقراطية؟ وهل غاية الديمقراطية المساواة الفعلية بين مواطنيها؟ وهل فعلاً الديمقراطية بهذه الإيجابية أم أنها تحمل سلبياتها ومواطن ضعف بين طياتها كغيرها من الأنظمة السياسية؟

ولمعالجة موضوعي هذا ومحاولة الإجابة عن هذه الأسئلة اتبعت الخطة التالية: المكونة من ثلاث فصول:


الفصل الأول بعنوان: الديمقراطية وتطوراتها وعلاقتها بالقومية والليبرالية يندرج تحته ثلاث مباحث فالمبحث الأول تناولت فيه الديمقراطية عبر العصور بداية من العصر اليوناني وهي البداية الأولى لظهور الديمقراطية مروراً إلى العصر الوسيط بشقيه الغرب المسيحي والشرق الإسلامي وكيفية انتشار الديمقراطية في كل منهما مع تبيان الفرق بين الديمقراطية في الإسلام والديمقراطية في الغرب المسيحي وكيفية سيطرة رجال الدين وبابوية الكنيسة على السياسة وتحكمهم فيها وتسيير شؤون الدولة، والمبحث الثاني تناولت فيه القومية ومدى أثرها السلبي على الديمقراطية وكيفية زوالها في بعض دول العالم وبداية بروز الديمقراطية وإعادة بزوغ فجرها من جديد.

أما الفصل الثاني كان معنون بالديمقراطية أبعادها وصورها، يندرج تحته كذلك ثلاث مباحث، المبحث الأول تناولت فيه كيفية تعريف آلان تورين للديمقراطية، والمبحث الثاني تطرقت فيه إلى أبعاد الديمقراطية الثلاث: احترام الحقوق الأساسية، والمواطنة، الصفة التمثيلية للزعماء وهذه الأبعاد الثلاث كما يسميها آلان تورين العروة الوثقى للديمقراطية أما المبحث الثالث تناولت فيه صور الديمقراطية الثلاث المباشرة والسياسية- تمثيلية- شبه مباشرة، حاولت من خلال هذا المبحث تبين الحملة الانتخابية ومدى شرعيتها فالديمقراطية لا تتأتى إلا بالعملية الانتخابية الحرة.

أما الفصل الثالث المعنون بتقييم الديمقراطية يندرج تحته ثلاث مباحث: الأول تناولت فيه مبدأ العدالة والمساواة وأيهما أقرب للديمقراطية؟ أم أنها بحاجة إلى كليهما؟ والمبحث الثاني تناولت فيه بعض مميزات وشروط نجاح الديمقراطية، أما المبحث الثالث فتناولت فيه أسباب ضعف الديمقراطية وعجزها عن اجتياح العالم بأسره.

ولمعالجة موضوعي هذا وفق الاشكالية المقدمة والخطة التي اقتضاها الإشكال اتبعت المنهج التحليلي والتاريخي في بداية الفصل الأول فهو الأنسب لذلك، لم أجد دراسات جاهزة في الموضوع باستثناء بعض الأفكار التي ذكرها الدكتور زروخي الدراجي في أطروحة الدكتوراه المعنونة بـ : "مشكلة المنهج في العلوم الإنسانية والاجتماعية"، وأردت أن أعمق هذه الدراسة ذات الأهمية في فكر آلان تورين السياسي إلى أنني حاولت تجاوز ذلك بمساعدة أستاذي المشرف وذلك بشرحه وتبسيطه لي عن بعض الأفكار التي يعترها اللبس والغموض، أما عن الأسباب ودوافع اختياري للموضوع تعود إلى حيوية الجانب السياسي ومدى أهميته في حياة الفرد بحثنا عن الديمقراطية الأنسب التي تتماشى وحرية الفرد من جهة وحتمية تواجده داخل المجتمع من جهة أخرى، اعتمدت بالدرجة الأولى على مصدر ما الديمقراطية ؟ لصاحبه آلان تورين لاحتوائه على الموضوع .

أما العوائق التي صادفتني أثناء بحثي هذا تمثلت في ندرة و انعدام المراجع التي تُعالج الديمقراطية عند آلان تورين بشكل مباشر في حدود ما اطلعت مرجع واحد فقط لفيليب تابان وجان فرانسوا دورتيه الموسوم بـ "علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ" وهذا ما صعب علي العمل. إلا أنني حاولت تجاوز ذلك بالاعتماد على التحليل قدر المستطاع محاولة الايجابية عن الإشكال المطروح راجية من المولى عزوجل السداد والتوفيق .



الفصل الأول
الديمقراطية وتطورها
وعلاقتها بالقومية الليبرالية

الفصل الأول _____ الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

الفصل الأول

الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

الديمقراطية ذلك الموضوع القديم الجديد، فهي تعود في أصلها إلى العصر اليوناني وبداية التفكير السياسي، محاولة الخروج من الأنظمة المستبدة الطاغية التي استعبدت الإنسان. مروراً إلى العصر الوسيط وسيطرت الكنيسة على حرية الأفراد وفرض سيطرتها في المجال السياسي وتأليهها للحاكم، في المقابل الذي كانت الفلسفة الإسلامية تستجمع على احترام الفرد ككيان مقدس له الحق في العيش بكرامة علاوة على أنه فرد حر يتمتع بكامل إراداته .

كما سنتطرق في هذا الفصل إلى النقيض المقابل الذي يهدد الديمقراطية إلا وهو القومية وبداية ظهور بوادر أفولها لتظهر الديمقراطية من جديد للعالم، محاربتنا من أجل الإبقاء على حرية الفرد وكيفية إعادة إدراجها ضمن النظم السياسية بعدما سيطرت القومية والفاشية على أنظمة الحكم السياسية في العالم الغربي.

كما سأتناول العلاقة القائمة بين الديمقراطية من جهة والليبرالية من جهة ثانية، وأيهما السابق وأيهما اللاحق؟ من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول: الديمقراطية عبر العصور.

المبحث الثاني: حماية القومية و بروز الديمقراطية.

المبحث الثالث: الديمقراطية والليبرالية.

والغرض من هذا الفصل محاول تتبع تاريخ الديمقراطية وتبع تطوراتها.

الفصل الأول _____ الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

المبحث الأول: الديمقراطية عبر العصور

عرفت الديمقراطية العديد من المراحل والتطورات من عصر إلى عصر ومن فترة إلى أخرى باختلاف الظروف وتعدد الأسباب ومتطلبات الحياة وباختلاف غايات الأفراد منذ بداية ظهورها.

1: العصر اليوناني:

عرف الفكر السياسي الإغريقي بعد الحروب الميديّة (490-479 ق.م) ازدهارًا عظيمًا شرطته في معظم التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي جرت في اليونان القارية ولا سيما في أثينا، فلقد ارتضت هذه المدينة في تمام توسعها ووهبت نفسها تدريجياً بنية سياسية ديمقراطية¹.

ديمقراطية Democracy-Démocrati المصطلح الإفرنجي مشتق من اللفظة اليونانية *démocratia* ومعناها الشعب والسلطة والحكم تعريفاً صورياً أنها شكلاً من أشكال السلطة يقرر خضوع الأقلية للأغلبية ويقرر الحرية للمواطنين².

شهدت بلاد اليونان العديد من الأنظمة السياسية وتغير نظام الحكم من فترة إلى أخرى ومن نظام إلى آخر من الملكية إلى الأرستقراطية ومن الأرستقراطية إلى الحكم الفردي المطلق (الملكية)، ومن الملكية إلى الديمقراطية.

تعد الأنظمة السياسية وتغيراتها الدائمة من نظام سياسي إلى آخر تغيراً دائماً للدساتير والتنوع فيها، وبروز الجدّل بين الأنظمة السياسية من جهة والدساتير من جهة ثانية، وهذا التغير الدائم للأوضاع السياسية إنما يعود سببه الأول إلى وعي الأفراد وبلوغهم درجة معينة من الوعي السياسي، الشرط الذي سبق كل تفكير سياسي هو تناقض الموجود بين الفرد والدولة، فالشعور بقضية الفرد كان الشرط الأول لنمو

¹ - جان توشار : تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط ، ترجمة ناجي الدرواشة ، ج 1 ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق سوريا ، ط1 ، 2010م ، ص 27 .

² - مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، دط ، 2007م ، ص 316 .

* - الأرستقراطية (Aristocratie) : حكومة طبقة اجتماعية معينة تمثل أقلية تمتاز على غيرها من الطبقات بثقافتها أو حقها الوراثي والارستقراطي ضد الديمقراطية، ينظر إلى جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج 1، دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان ، 1982م ، ص 62

الفصل الأول _____ الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

الفكر السياسي في بلاد اليونان ،ومن بين الأسباب نمو هذا الفكر وجود دويلات نشطة قابلة للنمو والتطور وكثرة الصراعات بين هذه الدويلات على غرار إسبرطة التقليدية التي لم تتغير كثيراً¹.

الديمقراطية تعني حكومة الأكثرية وهذه الأخيرة تعني بها حكومة الفقراء ضد الأغنياء وهي الغالبية الفقيرة من الشعب لذا أطلق على الديمقراطية حكومة الفقراء أو العوام ،تكون الديمقراطية في بداية الأمر تمثل إلهاما للفقراء بانتصارهم على الأغنياء واعتبارهم أعداء لهم يشارك كل من الفقراء والأغنياء على حد سواء في الحكومة وشؤون الرئاسة فغالبية أفراد المجتمع ينتمون إلى الطبقة العامة الفقيرة المتمثلة في اليد العاملة ويتم إقصاء هذه الفئة أو الطبقة من جملة الأفعال السياسية فكانت عبارة عن رقيق في العصر اليوناني، وبقيت السياسة حكراً على أصحاب الطبقة البورجوازية (الحكومة الأرستقراطية). كما تُعرف الديمقراطية على أنها ازدواجية بين استقلالية الفرد بعيداً عن أي إكراه في الوقت ذاته لا يمكنه أن يتجاوز في الوقت ذاته القانون فالحرية الاستقلالية وخضوع للقوانين العامة في آن واحد.

تعرف الديمقراطية بأنها تساوي جميع المواطنين من الناحية القانونية الكل سواسية قانونياً ، ولكن هذا لا يعني تقييد الفرد لأن هذا الأخير له حق التمييز وذلك بإعطائه حريته الشخصية ، فقوانين الحكومة الديمقراطية مفروضة على أفراد الدولة أو ما يصطلح عليه بالدستور مع نص على تطبيقه دون إكراه في ذلك، لأن المشرع لهذه القوانين - الحاكم - معين من طرف المحكومين عن طريق الانتخاب كما يتم استشارتهم في القرارات السياسية الكبرى، تنوب فيها الهيئات وبعض المؤسسات عن أفراد المجموع.

فالحكومة الديمقراطية لا تتجه شهوتها نحو المال، كما كان الحال في الأوليغارشية بل تطلق العنان لكل الشهوات بلا تمييز ولا تنظيم وتستعمل القرعة في تقليد الحكم للأفراد إمعاناً في الديمقراطية حسب رأي أفلاطون Platon وبهذا فهو يخلط بين نظام الديمقراطية والفوضى².

الديمقراطية على عكس الأوليغارشية، فالأولى غايتها المساواة والإصلاح، أما الثانية فغايتها جمع المال، وإحداث الهوة بين طبقات المجتمع، لتزداد الطبقة .

¹ - ارنست باركر :تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط، ج1، ص12، 14 .

² - أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر، ط جديدة، 1984م ، ص

الفصل الأول _____ الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

جاء مشروع صولون الإصلاحى بمثابة المخرج الذى ينتظره الكثيرون لتظهر الأحزاب السياسية لأول مرة فى تاريخ السياسة الديمقراطية ، وكانت ثلاث أحزاب متصارعة فيما بينها وهى:

1. حزب الجبل (les diariens) بزعامة بزيستراتوس (peisistratus) وهو أول مؤسس للديمقراطية اليونانية الذى قدر له أن يلعب فى تاريخ أثينا دورا حاسما واستطاع بقوة الشعب أن ينصب نفسه طاغية لأثينا وذلك عام 517 ق.م.¹

جاء حزب الجبل على نقيض من إصلاحات صولون باعتباره الحزب الأكثر عددا والأكثر قوة من غيره، وصنف ديمقراطية بزيستراتوس من بين الديمقراطيات المتطرفة، لاحتوائها على أكبر نسبة من سكان أثينا أغلبهم من طبقة اليد العاملة والرقيق والفلاحين والمزارعين والرعاة وهم أكثر ناس جهلاً من غيرهم وهو إحدى الأسباب المؤدية للتطرف.

2. حزب النبلاء: حزب السهل (pediéns) وهو الأكثر محافظة من غيره.

3. حزب الساحل أو البحر: (les diacrien) وهو الحزب الذى يظم أنصار صولون.²

من أهم إصلاحات صولون القانونية إلغاء الرق بسبب الديون، وهو الإصلاح الذى سمي "ساي سكيثا" (sei-sachte) أى وضع الثقل، وأصدر قانونا يعفى الابن من مساعدة أبيه إن لم يكن هذا الأب قد علمه مهنة.³

اهتم صولون كثيراً بحرية الأفراد وضرورة إعطاء كل فرد حق الحرية وحق التمتع بها، فالأفراد متساوون داخل المجتمع أو الدولة ونظام الرق انتهاك لحقوق الأفراد، كما اعتبره صولون إحدى الأسباب الرئيسية التى أدت إلى ضعف الاقتصاد الأثينى، لأن نظام الرق يشكل اختلال على مستوى الاقتصاد الداخلى للدولة وذلك بكثرة العبيد ورخص أثمانهم وراجع أجورهم فى الوقت الذى ترتفع فيه أسعار المعيشة، حتى تبقى الهوة بين السادة والعبيد فى اتساع مستمر ودائم مع استحالة تضييقها فيما بعد .

¹ - أميرة حلمي مطر: الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، دار المعارف، مصر، ط 5، 1995م، ص11.

² - نفسه، ص 11.

³ - أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، ص 116.

الفصل الأول _____ الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

الديمقراطية لا تستطيع البقاء في جوهر التقاليد الموروثة التي لا تغير لها، بل تعيش في جوهر طليق من الفكر المتوثب ولا شك أن مناقشة المبادئ أمر جوهري في حياة الديمقراطية لا يقل أهمية عن المناقشة السياسية¹. لذا تُعتبر الديمقراطية من بين الأنظمة السياسية الخارجة عن التقاليد فهي قابلة للنمو والتغير، - النمو الفكري للأفراد حرية التفكير والرأي - على غرار الأنظمة الأخرى التي تبقى حبيسة التقليد، تقليد الحاكم لمن سبقه في الحكم والإبقاء على التقاليد السالفة حتى وإن كانت ظالمة، على عكس الديمقراطية التي تتماشى وظروف الأفراد والتغيرات الطارئة على المجتمع من فترة زمنية إلى أخرى.

الديمقراطية هي الحكم بالاشتراك بمعنى المناقشة وتقبل الرأي وهذا بطرح القضايا السياسية وجعل المسائل السياسية المتعلقة بالفرد والدولة على حد سواء على طاولة النقاش بالفصل في المسائل العالقة والخروج بحلول لها فبعض الأفكار تستلهم أفكار أخرى لتوسيع باب النقاش. فأسلوب النقاش مفتوح في حلبة الديمقراطية وإعطاء الأفراد حق إبداء الرأي والمناقشة في العديد من القضايا وهذا ما كان يُمارس في المسارح اليونانية الكبرى، وهو ما يعرف "بالديمقراطية المباشرة" طرح القضية أمام عامة الناس وإعطاء الحق في المناقشة، وبقيت هذه السمة سائدة في العصور اللاحقة عن العصر اليوناني وإن كانت بطريقة مختلفة نوعا ما وأصبح يطلق عليها اسم غرفة البرلمان ينوب فيها رؤساء الأحزاب عن مفوضيهم.

تلقت الديمقراطية معاني مختلفة حسب الحقب والأحزاب، كما عكف المحادلون مبكرين على التمييز بين الديمقراطية خاصة بصولون وديمقراطية خاصة بكليستين (clithén) أو بيركليس (péricelés) أو كليون (cléon) أنها في الواقع ديمقراطية مختلفة عن بعضها البعض².

يُعد مشروع **صولون الإصلاح** وتشريعاته القانونية، وتنظيره السياسي واشتداد الصراع بين الأحزاب الثلاثة (حزب الجبل، حزب السهل، حزب الساحل) استمر الجدال حول موضوع الديمقراطية بين مؤيد ومعارض لها، أيدها العامة قبل الخاصة والرفيق قبل السادة، والفلاحين قبل الأشراف، لا لشيء سوى لأنها قائمة على مبدأ "حق الشعب في المشاركة في الحكم" وإعطاء الحرية لهذا الشعب في تقرير المصير والاختيار الحر للحاكم فهي أقل وباء من غيرها كالألوغارشية والارستقراطية والملكية .

¹ - أرنست باكر: النظرية السياسية اليونانية، ص16.

² - جان توشار: تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط، ج1، ص 28.

الفصل الأول _____ الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

ومن بين المشتغلين بالديمقراطية* السوفسطائيون ، لم يكن اسم السفسطائيين في بداية الأمر يُفيد أي معنى سيء دائما كان يعني المعلم الحكيم لذلك فقط عدت فلسفتهم ثمرة للحياة الديمقراطية في أثينا وتعبيرا قويا عنها¹. السوفسطائيون أعطوا قيمة للفرد ككيان بشري دون النظر إلى الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها هذا الفرد واعتباره إنسان له الحق في التفكير والحق في المشاركة في الحياة السياسية كغيره من الأفراد دون تمييز .

فالغاية الأسمى للديمقراطية هي المساواة** Equality Egalite السياسية عليها يُعول الديمقراطيون أول ما يُعولون، والدولة الديمقراطية هي الدولة التي يكون فيها القانون واحد للجميع (isonomia) وتحقق فيها المساواة في المشاركة في الأعمال (isegoia) وفي السلطة (Isocratia) ففي تلك الحقبة كان هذا التعلق بالمساواة يركز على مخاوف ضاغطة جداً². لسبب بسيط وهو غياب العدالة الحققة وتفتشي العبودية لغياب الرقابة الحكومية والقانونية، لأن القانون وقتها وضع لخدمة السادة دون العبيد والاقوياء قبل الضعفاء والسبب بسيط فالمرعون لهته القوانين ليسوا من طبقة العبيد أو الفقراء الضعفاء بل هم من الطبقة السادة الاقوياء والاغنياء . جاءت فلسفة سقراط*** كرد على فلسفة السفسطائيون، أظهر سقراط بغضاً للديمقراطية الأثينية لم يكن من ناحية الوجدان والشعور ارستقراطيا كما لم يكن من مؤدي مصالح الصفوة من القلة أصحاب الامتيازات لكنه لم يستطيع أن يكيف نفسه مع حكم الغوغاء الذي كان يتسم باسم الديمقراطية³ .

يعد سقراط من الساخطين على الديمقراطية اليونانية، فهو يرى بأنها ديمقراطية فاسدة تسعى إلى نشر أفكارها ومبادئها بين أفراد المجتمع متخفيتها وراء ستار الحرية، حتى تجمع أكبر عدد ممكن من الأفراد خاصة

* -السفسطائيون: هي مدرسة يونانية اشتهرت بفن الخطابة في البداية ثم تحولت إلى مدرسة المغالطات، كانت ند لفلسفة سقراط، أشهر ممثلها بروتاغوراس، جورجياس، هيبباس، ينظر إلى جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص 246.

¹ - أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، ص 116.

** - المساواة (Equality): هي مبدأ يقرر مساواة أمام القانون بغض النظر عن اللون أو الدين أو الجنس في المنطق معبرة عن تعادل منطقي بين لفظين، مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ص 591.

² - جان توشار: تاريخ الأفكار السياسية من العصر اليوناني إلى العصر الوسيط، ج1، ص 29.

*** - سقراط: (496 - 399 ق.م) فيلسوف يوناني لم ترد عنه كتابات مؤكدة أتهم بإفساد عقول الشباب وعدم اعتقاده بألهة المدينة فتم إعدامه، فؤاد كامل وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، إشراف زكي نجيب محمود، دار القلم بيروت لبنان، ص 256 .

³ - ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 1984م، ص 117.

الفصل الأول _____ الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

أولئك المنتمين إلى الطبقة العامة - الفقراء والعبيد - ليكونوا وسيلة لتحقيق غاية منشودة (الديمقراطية). من الساخطين على الديمقراطية اليونانية نجد تلميذ سقراط* أفلاطون الذي نحى نحو أستاذه، واعتبر الديمقراطية من بين الأنظمة الفاسدة خاصة بعد إعدامها لسقراط واتهامه بإفساد عقول الشباب، وفي قصة وفاة سقراط الشهيرة يتضح بأنه لم يكن رجلاً خارجاً عن القانون بعد قبوله حكم القضاء وتجرحه للسم على الرغم من الفرصة المدبرة له للهرب، فعدائه لم يكن للقانون الأثيني بل كان للديمقراطية الأثينية.

رفض أفلاطون الديمقراطية الأثينية وكل الأنظمة السياسية اليونانية الأخرى، فأفلاطون من الفلاسفة الراضين للتطور وسبب رفضه هذا يعود إلى رفضه للنظام الديمقراطي وإدانتته للديمقراطية واعتبارها نظام فوضوي يخلط بين الطبقات الاجتماعية والمساواة بين العبيد والسادة وبين النبلاء والعامة وبين الجاهل والمتعلم (الفيلسوف)، فهو يرى بأن طبيعة البشر الاختلاف فالسيد يولد سيداً والعبد يولد عبداً، وعلى هذا الأساس بنا أفلاطون أكاديميته ووضع فيها نظام تربوي من نوع خاص غايته القسوى تبيان الفروقات بين أفراد المجتمع الواحد وإنتاج الحاكم الفيلسوف وهو خيرة هؤلاء الأفراد.

ومن الأقوى الأنظمة السياسية التي وقفت الند أو الخصم العنيد للديمقراطية نجد حكم الأرستوقراطية فهو لم يستسلم بسهولة للحكم الديمقراطي دون أي مقاومة في الوقت الذي تحاول فيه الديمقراطية جاهدة الوقوف في وجه الطبقات الاجتماعية فالتضارب القائم بين هذين النوعين من الحكم يعود إلى تضارب المصالح بين الأثرياء والفقراء وتعارض الخدمات الاجتماعية نظراً لغياب التكافؤ بين الطبقات الاجتماعية .

وهذا ما أدى بالحزب الديمقراطي أن يصطبغ بصبغة اجتماعية كالمساواة بين الناس وإدراج العامة من الفلاحين والمزارعين ضمن الحياة السياسية وتشجيع على المشاركة في الحياة العامة ، فالديمقراطية تعطي الأولوية للمجموع وتهتم بمصلحة الجماعة أي المدينة أو الدولة قبل اهتمامها بالمصلحة الفردية حيثما حققت مصلحة الدولة آلياً تتحقق مصلحة الفرد، فبمشاركة الطبقة الفقيرة للطبقة الغنية من أموالهم إحدى المزايا الديمقراطية.

* - أفلاطون(Platon): فيلسوف يوناني، صاحب المثالية في الفلسفة، أشهر مؤلفاته الجمهورية، يتناول فيها جل القضايا السياسية والأخلاقية التي حاول تطبيقها في أكاديميته الشهيرة، أراد خلالها إنتاج الحاكم الفيلسوف، ينظر لفؤاد كامل وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص 53 .

الفصل الأول — الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

تكتسب الديمقراطية فاعليتها في حال تفاعل بين المجتمع والهيئات الاجتماعية أو المؤسسات الحكومية وهنا ينشأ تفاعل بين المجتمع كمجموعة من الأفراد الذين اكتسبوا صفة المواطنة والدولة ككيان سياسي سُخر لخدمة أفراد المجتمع¹. فالغاية الأساسية من الديمقراطية هي تنشيط الفاعلية بين المجتمع كمجموعة من الأفراد وتكامل الوظائف فيما بينهم في الوقت الذي يسعى هذا المجتمع جاهداً إلى التفاعل الوظيفي مع المحتويات الاجتماعية .

الديمقراطية تعني حكم الأغلبية هي إحدى أشكال الفساد للجماهيرية بسبب الأثرية الشعبية مع ممارسة الحكومة الديمقراطية للسلطة ممارسة شعبية عامة فهي تمارس سلطتها لصالح الفقراء ، لكن الواقع غير ذلك لأن هذه الغالبية مهضومة الحقوق وفي هذا اختلال في نظام العدالة وتفاوت في المساواة بين الأغنياء والفقراء وهذا ما يتفشى في الحكومة الجماهيرية وأرسطو* يعطي صنفين من الحكومات أولهما الحكومات النقية (الملكية، الارستقراطية، الشعبية أو الجماهيرية) وثانيهما الحكومات الفاسدة (الطغيان، الأوليغارشية والديمقراطية).

يعرف أرسطو الديمقراطية بقوله: "شكل آخر للديمقراطية هو المشاركة للجميع في الهيئات القضائية، بشرط واحد هو أن يكونوا مواطنين ولكن من غير حكم للقانون"². أرسطو لم يطلعنا عن نظام الحكم الذي ينبغي أن تكون عليه الدولة، بل إننا نراه يعطي بعض المبادئ العامة التي يجب أن تعتمد في تحديده، إلا أنه من الواضح أن "النظام الدستوري" أو "النظام الديمقراطي" الذي يشترك فيه جميع الشعب بالحكم، هو النظام الأمثل في نظام أرسطو السياسي³، فلسفة أرسطو السياسية فلسفة تحليله للنظم السياسية السائدة في بلاد الإغريق، أرسطو يحدد ثلاث أشكال للديمقراطية:

¹ - أرنست باكر: النظريات السياسية عند اليونان، ص 41.

* - أرسطو(Aristotle): (384 ق.م- 322 ق.م) فيلسوف يوناني ترك أثر عميق في الفكر الفلسفي اللاحق عليه له العديد من المؤلفات حوالي 47 مؤلفاً مقسمة بحسب المواضيع منها الكتب المنطقية والكتب الاخلاقية والكتب السياسية وغيرهم، ينظر إلى علي حامد ، الموسوعة العربية مختارات فلسفية -اجتماع -عقائد، ج 1، د ط ، د ت ، ص 89، 90.

² - صلاح علي نيوف: مدخل إلى الفكر السياسي الغربي، ص 23.

³ - محمد الجبر: الفكر الفلسفي والأخلاقي عند اليونان أرسطو نموذجاً، دار دمشق، ط1، 1994 م ، ص 129.

الفصل الأول _____ الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

1. ديمقراطية تصنف بالريفية وفيها المزارعون والمالكون بميزانية متوسطة يسيطرون على السلطة العليا للدولة.

2. ديمقراطية فيها جميع المواطنين لديهم الحق في المشاركة باتخاذ القرار في وقت الفراغ فقط.

3. ديمقراطية الجماهير الشعبية كل المواطنين يشاركون في الحكم، إنها الجماهير الفقيرة التي تحكم وليس القانون وهي تسيطر على السلطة العليا للدولة¹.

تُجيز الديمقراطية كل شيء تحت شعار الحرية ورغبة الأكثرية فالديمقراطية بلمعان بريقها الخارجي تصبح لكل المحرمات مكان شرعي لإحلالها داخل الديمقراطية وهذا ما يؤدي إلى تدهورها ليتحول نظام حكم الدولة من حكومة ديمقراطية إلى حكومة استبدادية .

مما سبق طرحه يتضح بأن الديمقراطية اليونانية وبالتحديد في أثينا ماهي إلا ديمقراطية لجلب المتاعب وإدخال المجتمع في فوضى تصارع الأنظمة السياسية وخلق صراعات ليس بين الأحزاب السياسية كأنظمة الحكم بل حتى بين أفراد المجتمع والطبقات الاجتماعية، شعور العبيد بالحرية يدفع بهم إلى المطالبة بحقوق لم تكن لهم يوماً، كمطالبتهم بتوزيع الثروة بشكل عادل بين الفقراء والأغنياء، إن المبدأ الذي تقوم عليه الديمقراطية -مبدأ الحرية- إنما هو مبدأ ذو حدين في البداية يكون مؤسس وباني للديمقراطية ومهد لنجاحها، لكن بعد فترة يتحول المبدأ نفسه من الإيجاب إلى السلب ويهدد بفناء الديمقراطية وزوالها فالحكومة الاستبدادية ما هي إلا نتيجة للحكومة الديمقراطية والمتبع لتاريخ الديمقراطية في أثينا يلاحظ بأنه ليس إلا تاريخ زائف وأخطاره ومساوئه أكثر من محاسنه، فالاشتغال بالسياسة ليس إلا مجلبة للقلق والتوتر، لأن الديمقراطية تتيح فرصة المواطنة لجميع أفراد الدولة على اختلاف شاكتهم تحت شعار العدالة والمساواة بين الجميع دون تمييز وهنا تبدأ مشاكل النظام الديمقراطي في الظهور أولها الفوضى وتجاوز المواطن لحدوده، وذلك بتطاوله على حقوق غير من المواطنين ظنناً منه أن هذه الحقوق الأولى أن تكون له ولا تكون لغيره من المواطنين، يتحول المواطن البسيط إلى منظر حقوقي وسياسي يفسر العدالة بحسب ما يخدم مصالحه دون النظر في شرعية هذه الحقوق .

¹ - صلاح علي نيوف: مدخل إلى الفكر السياسي الغربي، ج1، ص 28.

الفصل الأول ————— الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

2- العصر الوسيط:

أ- الديمقراطية في الفكر السياسي المسيحي:

إنّ الأفكار السياسية الأولى عند مارتن لوثر* Luther martin ذهب في اتجاه مساندة الحكم المطلق بسبب الصراعات مع القوى الكاثوليكية هذه الأفكار تحولت باتجاه "حق المقاومة" فيما بعد أصبحت نظرية حقيقية للثورة نظرية تطورت في إنجلترا مع علم اللاهوت المثالي أو التعاهدي¹.

الثورة الإصلاحية التي قام بها مارتن لوثر غيرت الغرب المسيحي ليست ثورة دينية فقط بل كانت ثورية فكرية وسياسية، تم الفصل فيما بين الدين والسياسة "ما لله فهو لله وما لقيصر فهو لقيصر"، كما فصل أيضا بين الحرية المسيحية من جهة وبين الانضباط الاجتماعي من جهة أخرى، في العصر الوسيط ساد الاعتقاد بالشرعية الإلهية في الغرب المسيحي، كما تهادى رجال الكنيسة والبابوية وتجاوزت سلطتهم حدودها المعقولة لتخرج خارج أسوار الكنيسة وصولاً إلى مقعد الحاكم لتفرض سلطتها على شؤون الدولة وتتحكم في القرارات السياسية، لاعتقادهم بأن الحاكم مخير من عند الإله أو الرب حسب التسمية المسيحية لذا وجبت طاعته .

لقد حدد مارتن لوثر بنفسه حدود تلك الحرية المسيحية التي اتخذها أساساً للتحديد الديني عندما ميز بين الإنسان الروحي والحر أتم الحرية وبين الإنسان الجسدي الخاضع للانضباط الاجتماعي². لم تقتصر المسيحية على المبادئ الأخلاقية المقيدة للفرد المسيحي، بل تجاوزت ذلك للتحكم في مقاليد السلطة وقرارات الحاكم، فلم تمنحه الصلاحية التامة للتسيير شؤون الدولة وحددت مهامه، وجعلت منه مجرد وسيلة في خدمة الكنيسة .

فلم تحظ الديمقراطية بأي قيمة في العصر الوسيط تم رفضها إلى حد ما لدى العديد من الفلاسفة والمنشغلين بالسياسة وقتها ومن بين هؤلاء نجد :

* - مارتن لوثر Luther Martin: (1403-1489م) مصلح ديني مؤسس البروتستانتية عمل كمدرس للاهوت في 1509م رفع لواء حرية الإيمان الشخصي وأحدث ثورة في العالم الغربي على المستوى الديني وعين البروتستانتية الكاثوليكية، ينظر إلى عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج2، ص 363.

¹ - صلاح علي نيوف: الفكر السياسي الغربي، ج1، ص 95.

² - جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة (الفلاسفة - المتكلمون - المناطق)، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1997م، ص 590 .

الفصل الأول _____ الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

جان كالفن* Jean-Calvin (1509-1564م) لم يقدر قيمته الديمقراطية كما أنه لم يهتم كثيرا بفكرة سيادة الشعب فهو يعتقد بأن الحقائق تأتي من الله مباشرة ومملكته لا توجد على الأرض¹. كان كالفن يؤمن إيمانا جادا بالعدالة الإلهية لاعتقاده بأن الحاكم مخير من طرف الإله، وضعه في منصبه وكلفه بالحكم وإدارة شؤون الرعية فالحاكم صورة الله في أرضه، لذا وجب طاعته بغير مناقشة ومن هنا تصبح حظوظ الديمقراطية ضئيلة أمام حكم الطغيان بسبب الوفاء للكنيسة البروتستانتية.

ب- الديمقراطية في الفكر السياسي الإسلامي:

العالم الإسلامي كان أكثر أهبتا للديمقراطية من غيره، فالإسلام أعطى الحرية للفرد وحرره من جميع القيود كما أنه مجد العقل في العديد من الآيات القرآنية الكريمة، كقوله تعالى: " أَفَلَا تَعْقِلُونَ" فبازدواج الحرية والعقل يصبح الفرد صاحب قرار ورأي ومن ثمة له القدرة على تكوين فكر سياسي وإبداء الرأي واختيار الحاكم بطريقة حرة وديمقراطية.

كان النظام الإسلامي الأسبق في إعطاء الحرية وإعلان حقوق الإنسان ووضع مبادئ الديمقراطية الحققة، وهذا ما كان في عهد الخليفة عُمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد أعطى أهم مبدأ للديمقراطية بطريقة حرة وحضارية ألا وهو الاختيار الحر للخليفة. ينصب الحاكم في الدولة الإسلامية عن طريق الاختيار الحر للمحكومين، شريطة أن يكون هذا الحاكم يتمتع بجملة من الصفات أو السيمات الخلقية التي حددها الفقهاء وبعض فلاسفة الإسلام يجيد أمور الدين والدنيا، فيما تعلق بالعدالة كإنصاف والمشورة، وإشراك الرعية في شؤون الدولة في السلم والحرب وإعطاء كل ذي حق حقه فهذه هي الديمقراطية.

تظهر معالم الديمقراطية في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "لقد أفسدت علينا أمرنا لم تستشر ولم ترعى لنا حقا"، فتقبل أبو بكر رأي

* - جون كالفن: لاهوتي ينتمي إلى الكنيسة البروتستانتية لم يكن تعترف بحرية الفكر ولا يتعدد الآراء واختلاف وجهات النظر، عرف البروتستانتين بكرهيتهم للديمقراطية أو حكم الشعب، نقلا عن جورج طرايشي، معجم الفلاسفة (المناطقة - المتكلمون - المتصوفون)، ص 506.

¹ - إمام عبد الفتاح إمام : الطاغية ، ص 146.

الفصل الأول _____ الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

الأخر بصدر رحب، فهو لم يتولى الحكم بحمد السيف على نحو ما فعل الأمويون والعباسيون فيما بعد، وإنما بعد نقاش ديمقراطي حر كانت فيه حرية الرأي مكفولة للجميع¹.

كان أبو بكر رجلاً ديمقراطياً بالمعنى الحقيقي على الرغم من طبيعة المجتمع الذي تولى خلافته لا يزال في السنوات الأولى من نزول الرسالة المحمدية بمعنى أنه لا يزال ضمن التخمينات الأولى على الأقل لبعض الطوائف والقبائل العربية وحتى غير العربية في إمكانية إتباع هذا الدين أو الانصراف عنه إذ تحولت من رسالة دينية إلى عملية سياسية، فدعا الخليفة الشعب، أي جمع المسلمين اللذين ولوه خليفة عنهم بمراقبته في أمور خلافته والشؤون السياسية المتعلقة بمصالح الأمة، فالخليفة مطالب باستشارة جمع المسلمين في قضايا السلم والحرب وشؤون الأمة.

ولم يتوقف عند هذا الحد بعد مرض أبو بكر وشعوره بقرب أجله طلب من المسلمين اختيار خليفة من بعده بطريقة حرّة وديمقراطية ولم يفرض عليهم خليفة، على الرغم من رغبة جمع المسلمين فيه، بل ترك لهم حرية اختيار الخليفة وحرية مبايعة من يشاءون لقوله: "ورد عليكم أمركم فأمرؤا من أحببتهم"².

3- الديمقراطية في العصر الحديث:

عرفت الديمقراطية نقطة تحول كبيرة بفضل الثورة الفرنسية فقد حرص رجال هذه الثورة على النص في إعلان الحقوق الصادرة عام 1789م على أن "الأمة هي مصدر السلطات، وبحيث لا يجوز لأية هيئة ممارسة السلطة لأن على اعتبار أنها صادرة منها، وأن القانون هو التعبير على الإرادة العامة للأمة"³. مع مطلع عصر الأنوار وتغير التوجهات الفلسفية والفكرية وبداية ظهور تيارات فكرية وفلسفية جديدة خاصة مع دعاة الحرية أمثال فلاسفة العقد الاجتماعي (لوك، روسو، هوبز)، تغيرت المفاهيم ليست الفكرية والفلسفية فقط بل حتى المفاهيم السياسية لتأخذ الديمقراطية مسار جديد عن المسار الذي افتته .

جون لوك* (1632-1704م) يرى بأن الأفراد ليسوا في حاجة ماسة إلى النظم

¹ - إمام عبد الفتاح إمام: الطاغية، ص 159.

² - نفسه، ص 160.

³ - مولود زايد الطيب: علم الاجتماع السياسي، منشورات جامعة السابع من أبريل، دار الكتاب الوطنية، بن غازي، ليبيا، ط 1، 2007م، ص 96.

* - جون لوك (JoinLock): (1632-1704م) فيلسوف العقد الاجتماعي اشتهر بإعطائه الحرية للفرد شرط ألا يخرج هذا الأخير عن الحاكم الذي تنازل له أفراد المجموع عن الحكم. عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ج 2، ص 377.

الفصل الأول _____ الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

السياسية لذا فهو يقول: "إن المجتمع يملك القدرة على تنظيم ذاته بانسجام، دون أن يكون ثمة حاجة إلى الاستعانة بالنظام السياسي"¹، التكامل بين الأفراد والتآلف الوظيفي والثقافي داخل المنظومة الاجتماعية يلغي مهام السلطة .

أما **توماس هوبز** *Hobbes Thomas (1588-1679م) فهو يفضل سيادة الدولة المطلقة هي أفضل من خطر الفوضى التي تؤدي إليها الحرية الفردية الأنانية كما يتوجب على هذه السلطة تأمين السلم الاجتماعي للأفراد لذا يقول هوبز : "السلطة ذات السيادة هي أقل أذى من انعدام السلطة"². يذهب هوبز إلى طريقة خلق مجتمع سياسي ينعم بسيادة دولة مطلقة بعيداً عن خطر الفوضى الناجم عن الحرية الفردية، فخلق مجتمع جديد على سلطة ذات السيادة عند إذن تكون السلطة القائمة تملك سيطرة عليا أو قوة مطلقة وهذا هو الرفاه الديمقراطي.

كما نجد **جانجاك روسو** *Roussen (1712-1778م) هو الآخر دعم مسيرة الديمقراطية وأمدّها بكثير من العناصر الهامة مع إيمانه بنوع خاص وهو "الديمقراطية المباشرة"، إلا أنّ هناك صفة عامة ومشاركة أساسية بين جميع أنواع الديمقراطية³، كان روسو من المنددين بأفكار الديمقراطية في أشهر ما اشتهر به نظرية العقد الاجتماعي فهو يحمل في طياته حرية الأفراد داخل المجتمع فهم مخيرين لا مسيرين يختارون الحاكم عن طريق الاقتراع العام كما يتمتع الأفراد بالحرية في إبداء الرأي.

إنّ فلسفة روسو التي تفرض في النهاية اتفاقاً جماعياً تؤدي إلى مطلقة الديمقراطية، فهي تطرح مبدأ الديمقراطية المباشرة، والتفوق الكامل للوظيفة التشريعية على التنفيذية، لأن المنفذان كان ملگّاً حصل عليه

¹ - أحمد ظاهر: دراسات في الفلسفة السياسية، دط، 1987م، ص 98.

* - **توماس هوبز** (Houppes Thomas): (1588-1679م)، من أشهر مؤلفاته مبادئ القانون الطبيعي والسياسي، العناصر الفلسفية للمواطن، تمسك برأه الفلسفي وأولى الفلسفة على الكنيسة، كان معادي لرجال الدين وهذا ما أدانه بعد وفاته كما استنتج في الأخير بأن حكم الدولة المطلق هو وحده الذي يمكن أن يضمن القانون ويفرض السلم الاجتماعي بعد تجربة الحروب الدينية في فرنسا والأهلية في إنجلترا، جورج طرايشي معجم الفلاسفة (المناطقة والمتكلمون، والمتصوفون)، ص 708،709.

² - أحمد ظاهر: دراسات في الفلسفة السياسية، ص 202.

* - **جان جاك روسو** (Roussen): (1712-1778م) كاتب وفيلسوف فرنسي اشتهر بنظرية العقد الاجتماعي على أن الحكومة لا يسوغها إلا إذا ظلت السيادة في يد الشعب فكل قانون لا بد وأن يوجزه التصويت المباشر لجميع المواطنين، أما الديمقراطية النيابية فقد رفضها روسو، وهو يرفض أي تقييد على الأغلبية وأية فكرة عن الحقوق الفردية نقلا عن فؤاد كامل وآخرون، الموسوعة الفلسفة المختصرة ، ص 227.

³ - إمام عبد الفتاح إمام: الطاغية، ص 231.

الفصل الأول _____ الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

الملك بالوراثة، أو كان منتجا، يبقى في كلتا الحالتين منفذا لما تقرره الإرادة العامة¹. كما يرجع روسو نجاح العلاقات الاجتماعية والقيمة الخلقية وجملة الفضائل النبيلة التي يتحلى بها عامة الشعب فهي تحدث نوع من الانسجام بين أفراد المجتمع وفق الإرادة العامة. يقول روسو: "يسهم كل منا في المجتمع بشخصه وبكل قدرته تحت إدارة الإرادة العامة العليا، ونلتقي على شكل هيئة كل عضو فيها جزء لا يجتزئ من الكل"². بمعنى تفعيل الذات داخل المجموع فهي جزء لا يتجزأ منه .

هيجل* Friedrich Hegel (1770-1831م) في المقالة التي أصدرها عام 1830م تهدف إلى إلغاء المحليات الفاسدة وزيادة عقلانية النظام الانتخابي، ومن ثمة تطوير النظام الديمقراطي، محاولاً بذلك إصلاح المنظومة السياسية الإنجليزية³. لأن العملية لانتخابية تحتاج إلى وعي عقلائي حتى يتأتى الوعي السياسي لأن النظام الديمقراطي ليس نظام سياسي فقط بل هو نظام ثقافي اجتماعي ، وهذا ما يحاول آلان تورين البحث عنه ديمقراطية ثقافية لها قواعد قيمة تأسس عليها ، لا يمكن للوعي السياسي أن يتأتى و تثمر بذوره ما لم تكن في أصلها بذرة ثقافية .

¹ - مولود زايد الطيب : علم الاجتماع السياسي، ص 205.

² - إمام عبد الفتاح إمام: الطاغية، ص 233.

* - هيجل (Hegel. G.W.F): (1831/1770م) فيلسوف ألماني في البداية كانت دراساته لاهوتية، ونتيجة الظروف السياسية تحركت لديه المواهب العقلية فاشتغل بالسياسة، من أشهر مؤلفاته فينومولوجيا الروح ، علم المنطق، جورج طرايشي، معجم الفلاسفة (المناطق - المتكلمون - المتصوفون)، ص 722، 721.

³ - ليوشتراوس: تاريخ الفلسفة السياسية من جون لوك إلى هيدجر، ج 2، ترجمة محمود أحمد، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005م، ص 385.

الفصل الأول _____ الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

المبحث الثاني: نهاية القومية وبروز الديمقراطية

1- القومية ونهايتها في بعض الدول:

يشير مصطلح القومية (Nationalism) الذي انتشر خلال العقدين الماضيين إلى انتماء جماعة بشرية واحدة لوطن واحد شريطة أن يجمعها التاريخ مشترك ولغة واحدة وثقافة مشتركة في الأرض والشعور بالمصير والأهداف والمسؤوليات المشتركة لجميع المواطنين¹.

يعرف آلان تورين القومية بقوله "إن القومية هي فرض مصالح الدولة على الأمة وعلى مجمل المجتمع" لقد كانت حركات التحرير القومية تقدم مشهداً غير متجانس فهي نادراً ما تستلهم الديمقراطية على الرغم من أنها تحظى بدعم تيارات رأي الديمقراطية، أو بالأحرى ثورية في عواصم المستعمرات².

يرى آلان تورين أن ضعف الدولة القومية في أوروبا يمكن أن يعود بالنفع على الحكم الذاتي المتعاضم للمجتمع السياسي والمجتمع المدني، أما الخطر الحقيقي فيكمن في واقع الأمر في الفصل بين سوق عالمية إجمالية وطوائف محلية منغلقة على ذاتها³.

ومن بين النتائج الإيجابية المترتبة عن ضعف الدولة القومية في أوروبا إعطاء الحقوق للأقليات والدفاع عنهم، إلى جانب تقبل الآخر المهاجر مع محاولة إدماج هؤلاء المهاجرين ضمن الأقليات كما يقدم آلان تورين تبريراً عن عجز الدولة القومية الأوروبية على بناء مجتمع ديمقراطي يرجع سبب ذلك تعايش المجتمع الأوروبي ضمن جمهورية متراجعة وضعف سيادة الدولة القومية .

¹ - إسماعيل مفتاح عبد الكافي : الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية (عربي إنجليزي)، ص 336.

* - آلان تورين (Alan Touroine) : عالم اجتماع فرنسي معاصر ولد في 03 أوت 1925م، توجهاته السياسية، يشغل عضو لجنة الرعاية بالتعاون الفرنسية من أجل الثقافة والسلم واللاعنف، له العديد من المؤلفات أهمها ما الديمقراطية؟ نقد الحداثة، الوعي الجمالي في 1966م، إنتاجية المجتمع 1973م وغيرهم، ينظر إلى محمد المستاري ، حوار المتعدن، العدد 3075 ، 26 جويلية 2010م، ص 2، 3.

² - آلان تورين: براد يغما جديدة لفهم العالم اليوم، ترجمة جورج سليمان، مراجعة سميرة ريشا، المنظمة العربية للترجمة، شارع السعيدة، بيروت، لبنان، ط1، 2011م، ص 108، 109.

³ - آلان تورين: ما الديمقراطية؟، ترجمة عبود كسوحه، دراسات فلسفية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، دط، 2000م، ص 123.

الفصل الأول _____ الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

يقول آلان تورين: "إن ما يظهر ضعف الدولة القومية الأوروبية إنما هو ضرورة الفصل ما بين الدولة والمجتمع، وقد جرى المزيج بينهما بإفراط، وخلطها بفكرة الجمهورية"¹. يرى آلان بأن عملية الفصل بين الدولة والمجتمع بسبب انتصار القومية وتراجعها داخل الدولة الأوروبية .

ساد الاعتقاد في بداية القرن 20م أن فكرة القومية التي ترعرعت في أوروبا خلال القرون السابقة عليها قد بدأت في الزوال على الرغم من الحماس الشديد الذي شهده القرن التاسع عشر كفترة قومية، وقد ساد شعور باضمحلال النزعة القومية إبان الحرب العالمية الأولى²، فالقومية الغربية قائمة على الفردية على عكس القومية الشرقية القائمة من الجماعية، ولعل أكبر قوميتين شهدتهما التاريخ القومي هما القوميتين الفرنسية والإنجليزية.

أ_القومية الفرنسية: إن الغالبية العظمى من الباحثين قد نظروا إلى فرنسا كأصل نشوء القومية، ويرى كبير Kerr أن فرنسا في القرن 15م وجدت في ربوعها شعورا جديدا تتقدم فيها القومية الفرنسية على شعورها الديني المسيحي ذلك الشعور الذي كان قائما في الأوساط الأوروبية جميعا³، ولعل أكبر حدثين في تاريخ القومية الفرنسية بين عام 1871م و 1914م هما الحركة (اليولانجية) وقضية (دريفوس) فالقومية الفرنسية مثلها مثل الراديكالية وقد كونت مذهبها حوالي عام 1900م، وحددت مفرداتها وبنيت ترسانة رموزها⁴. لذا تراجعت الأسس الاجتماعية للقومية الفرنسية بعد ما تم محاصرتها في الحرب العالمية الثانية وبالتحديد في سنة 1939م.

كما يعد شارل موراس(1868-1952م) مؤسس القومية الوضعية، وهي تتعارض مع العاطفة الباريسية، بإحيائه للفاشية بحماسة في 1937م وقائلا: "ما الفاشية؟ إنها اشتراكية تحررت من الديمقراطية وهي نقابة اعتقت من القيود التي قيدها بها الصراع بين طبقات العمل الإيطالي، الشغل

¹ - آلان تورين: ما الديمقراطية؟، ص 123.

² - أحمد ظاهر: دراسات في الفلسفة السياسية، ص 195.

³ - نفسه، ص 209.

⁴ - جان توشار: تاريخ الأفكار السياسية من الاشتراكية - الليبرالية - القومية - السلفية، ج3، ص 899.

الفصل الأول _____ الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

الإيطالي" والنتيجة التي يخلص إليها أنّ فرنسا قد تفنى بدون الملكية، وهي ما يصطلح عليها القومية المتكاملة¹.

تراجع شعور بالقومية الفرنسية ونقص عظمتها وهيبته يعود إلى انتصار بعض مستعمرات دول العلم الثالث على الجيش أو المستعمر الفرنسي، فالآن تورين يعترف بقوميته ومدى تعلقه بأصله الفرنسي وبدور هذه القومية غرست فيه منذ نعومة أظفاره، إلا إنها لم تبقى على حالها على الرغم من أن آلان تورين يحدد ثلاثة وظائف رئيسية للدولة القومية وهي:

1. انشاء بيروقراطية: دولة قادرة على التدخل في الإنماء الاقتصادي.
2. ممارسة الرقابة: على اختلاف العادات والمشاعر.
3. شن الحرب: بهدف تكوين مساحة قومية أو الدفاع عن النفس ضد هجمات الدول العدو². كما يعود ضعف الدولة القومية وضعف أنظمتها وتراجع هيبته إلى تناقضها الداخلي ووجود قوميات داخل القومية الواحدة مع فقدانها للشرعية . وفي القرن 19م كانت القومية من بين الأفكار السياسية عالية الشأن على العكس القرن 18م فاندفاع نابليون لبناء امبراطورية هو الذي أثار النزعة القومية من مرقدها وصفت النزعة القومية بأنها عميقة كالحياة ولكنها ضيقة كالقبر ووجود الفوضى الدولية كان من أقوى الأسباب التي جعلت للقومية مكانة سامية وأرغمت الأمم على المغالاة في الاستمساك بها³. لكن هذا لم يدم طويلا على الأقل في بعض الدول سرعان ما تحولت القومية إلى ديمقراطية، نجد أصحاب النزعة الإنسانية والمنشغلين بحقوق الإنسان والدفاع عن الأقليات العرقية في العالم يعملون ضد القومية راغبين في إنقاذها والتخلص منها.

امتزجت السيادة القومية والقوى السياسية محاولة بسط نفوذها السياسية بتقوية علاقتها بالقوميات الأخرى ومحاولة جذب القوميات الضعيفة إليها وذلك بزيادة قوتها الاقتصادية، وبهذه الكيفية تزيد الدول القومية من إنتاجها واستراد الأسلحة متهيفة للحرب أو الكفاح وتحصيل الثروة وجمع المال، وهو ما يمكن أن

¹ - جان توشار: تاريخ الأفكار السياسية الاشتراكية-الليبرالية-القومية-السلفية، ص 906.

² - آلان تورين: برادغما جديدة لفهم عالم اليوم، ص 68.

³ - علي الأدهم: المذاهب السياسية المعاصرة، مكتبة المعارف، مصر، دت، ص 124.

الفصل الأول ————— الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقوموية الليبرالية

ننسبه إلى المذهب الاستعماري الفرنسي الاقتصادي على عكس المذهب الاقتصادي الألماني، عملت القوى الاستعمارية على استقلال القوميات وتوجيهها بما يخدمها ويخدم مصالحها الاقتصادية وسياسية لئلا يلد من وضع حدود للسيادة القومية حتى لا تقضي على تقاليد الحضارة الموروثة، فألان تمسك بحبه لبلده بعد حرب 1940م، فنتائج الحرب أثرت عليه سلبيا وإيجابيا من جهة تحطيم الصورة العظمى لفرنسا من وجهة ثانية انفتاحه على العالم والدول الأوروبية الأخرى، ويعتبر الانفتاح على العالم شكل من أشكال التخلي عن القومية سواء كان السبب راجع للظروف المحتمة على آلان كغيره من الفرنسيين أو لاقتناعه بحتمية زوال القومية.

ب- القومية الألمانية (الجرمانية): تختلف النزعة القومية التي تفتحت في ألمانيا قبل الوحدة الألمانية وبعدها اختلافا شديدا عن النزعة القومية التي ظهرت في فرنسا بعد هزيمة 1840-1871 م، وتختلف أيضا اختلافا شديدا عن النزعة القومية التي أخذت أشكالا متنوعة للغاية في إيطاليا¹.

تميز الشعب الألماني بحب العظمة فهو يعتقد أنه الشعب النقي والوحيد في العالم، وباقي الشعوب الأخرى مختلفة الأجناس تفتقد للصفاء والنقاء، لذا فهي تبقى أقل منها إلى جانب العظمة لهم هوس حب القوة ولعل أفضل من تكلم عن القومية الألمانية المؤرخ فراينشكه (1834-1896م).

شعور الألمان بمسؤولية إدارة شؤون العالم لا لشيء سوى لأنهم يعتقدون أنهم أرقى الأجناس أما باقي الشعوب متوحشة وهمجية وبربرية خاصة دول العالم الثالث و الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

تبدي النزعة الألمانية خصوصية مزدوجة في كونها اعتقادية وشعبية معا، فهي تركز على جملة معتقدات تظهر في المؤلفات المذهبية التي تلهم عمل رجل الدولة وتلتقي في قطاعات الرأي المتنوعة للغاية فتلاقي الليبراليون والمحافظون في الرابطة والجرمانية الجامعة (AlldentucsherVerbsnd) ومشاركتهم في حماسة القومية نفسها².

¹ - جان توشار: تاريخ الأفكار السياسية (الاشتراكية- الليبرالية - القومية- السلفية)، ج3، ص 908.

² - نفسه، ص 909، 910.

الفصل الأول _____ الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

2- بروز الديمقراطية :

عادة الديمقراطية للظهور من جديد بعد مسيرتها الشائكة وفشلها في بلاد اليونان والعصور التالية عليها ومع تزايد ثقافة تبادل الآراء عاودت الديمقراطية اكتساح الساحات السياسية وبالتحديد بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية ، و بدأت تظهر المعالم الحققة للديمقراطية عند اشتداد الطغيان وممارسة نظام القوة والترهيب من طرف السلطة ضد الشعب، فنتيجة الضغوطات القاهرة والظروف القاسية التي آلت إليها المجتمعات بدأت تظهر بعض الأفكار والآراء موسومة بالحرية، مع ارتفاع الأصوات المطالبة بحق تقرير المصير وإبداء الرأي والمشاركة في شؤون الحكم.

كان انتقال اسبانيا إلى الديمقراطية 1977م أبرز مثال حديث لفشل شرعية الاستبداد فقد كان الجنرال فرانثيسكو فرانكو آخر ممثلي النزعة المحافظة التي عرفتها أوروبا في القرن 19م المستند إلى شرعية الكنيسة وهي ذات النزعة التي دحرتها الثورة الفرنسية¹.

لم يكن هذا الانتقال محض الصدفة لم تتأني ولادة الديمقراطية إلا بعد مخاض عسير تمثل في مجمع الفاتيكان الثاني في الستينات القرن الماضي والفشل الذي تلقاه النظام الاستبدادي فجاءت الديمقراطية بمثابة الحل لهذه الأوضاع السياسية الإسبانية بعد السماح بإجراء انتخابات حرة ديمقراطية.

كذلك عودة اليونان والأرجنتين إلى الديمقراطية في عام 1974م و 1984م على التوالي لم يطرد العسكريون فيها بالقوة من الحكم، وإنما أفسحوا الطريق أمام السلطة المدنية، بسبب انقسامات داخلية في صفوفهم وهي انقسامات تعكس تبدد الإيمان بحقهم في الحكم²، كما استخدم السوفيت في عهد جورباتشوف كلمات مثل "القول الديمقراطي" التي ظل يستخدمها دوما في تحديده لأهدافه، كما كان ليين يزعم أن الاتحاد السوفيتي قد حقق شكلاً من الديمقراطية عن طريق دكتاتورية الحزب أصدق من الديمقراطيات السورية في الغرب³.

¹ - فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص 34.

² - نفسه، ص 36.

³ - نفسه، ص 43.

الفصل الأول _____ الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

المبحث الثالث: الليبرالية و الديمقراطية

1- تعريف الليبرالية :

الليبرالية libecral'smlibéralism هي نظرية سياسية ترقى إلى مستوى* اللادبولوجيا إذ تزعم أن الحرية هي أساس التقدم فتعارض السلطة سواء كانت دنيوية أو دينية¹.

البراديجمات الثلاث للفكر السياسي والاجتماعي الحديث في الفكر السياسي الغربي الحديث تميز ثلاث عائلات من النظريات : اليمين، اليسار، والديمقراطية الليبرالية².

الليبرالية تدعو إلى الحرية عموماً والحرية الفردية على وجه الخصوص وهذا ما يتوافق والديمقراطية الدستورية، فهذه الأخيرة تعمل على حماية الفرد وحماية ممتلكاته، فهي تؤمن الحرية الفردية الخاصة وتحفظ الحقوق عن طريق السلطات المكلفة.

الليبرالية هي آخر وجه من وجوه العلمانية وهي تعني في الأصل الحرية، غير أن معتنقيها يقصدون بما أن يكون الإنسان حراً في كل شيء، فالإنسان عند الليبراليين اله نفسه³. وهذا يعني الحرية المطلقة بدون أي قيود فكل فرد يشرع لنفسه ما يجب القيام به بمعنى أنه اله نفسه لتغيب الرقابة والسيطرة السياسية فالليبرالية تعمل على منح الحرية المطلقة للفرد .

بعد نجاح الثورة الصناعية بالجلترا وازدهار الاقتصاد أو ما يعرف بسم النظام الرأسمالي ومع مطلع القرن 19م وبرز الفكر الليبرالي، إلا أنه أخفق في تأسيس المذهب الليبرالي السياسي، على الرغم من أن المجتمع الليبرالي مجتمع منظم.

* _ الإيدولوجيا (Idéologie) :مصطلح للدلالة على الفلسفة التي تطرح جانب النظر الميتافيزيقي وتقتصرهما على دراسة المعاني لتين خصائصها وقوانينها وعلاقتها بالإشعارات المشيرة عنها محاولة بنوع خاص اكتشاف أصلها ، نقلا عن مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، ص 120.

¹ - مراد وهبة : المعجم الفلسفي، ص 316.

² - صلاح علي نيوف: مدخل إلى الفكر السياسي الغربي، ج1، ص82.

³ - محمد عبد العزيز أبو النجا وآخرون :جمعية الترتيل للخدمات الثقافية والدينية كنشاط التوعية الدينية العلمانية الليبرالية، الديمقراطية، الدولة المدنية في ميزان الإسلام، إصدار رقم 2، ط 3، 2011م ، ص16.

الفصل الأول _____ الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

يحتوي الفكر السياسي الليبرالي على نظرية في المجتمع وذلك قبل ظهور علم الاجتماع الذي ظهر في القرن التاسع عشر بزمّن طويل إذ ينتمي إلى الفكر الاجتماعي، أفكار فلاسفة العقد الاجتماعي (هوبز، لوك، روسو) حول الحالة الطبيعية الأولى السابقة على الاجتماع البشري وكيفية نشأة الدولة والنظم السياسية¹.

كانت الليبرالية سابقة في الظهور على علم الاجتماع واهتمام الفلاسفة المشتغلين بها بتحديد قيمة الفرد داخل المجتمع وإعطائه أهمية بالغة، فالبعض يعتبر **جون لوك** هو المؤسس الأول لمذهب الليبرالية بسبب دعوته للحرية الفردية، إعطاء الحرية الفردية على حساب الحرية الجماعية، لأن الفرد المستقل الذي يتمتع بحريته وضامن لأمنه يتفرغ لإظهار قدراته الإبداعية وتنشيط طاقاته الفردية لخدمة المجموع الإنساني لا لشيء سوى لأنه فرد يسعى دائماً لإثبات ذاته حتى وإن اختلفت الوسائل وتعددت الطرق.

مع تزايد انتشار الفكر الليبرالي ورفع شعار الحرية الفردية وفكها للقيود التي تطوق الفرد وتكتم نفسه سواء كانت قيود سياسية دينية أو فكرية وثقافية أصبحت هذه الأخيرة بمثابة الدرع الحامي للأقليات التي تلجأ للاحتماء بظلالها لا لشيء سوى لأنها قائمة على التعددية العرقية والتنوع الثقافي باسم الحرية تكون أكثر إغراء. عرفت الليبرالية انتشاراً واسعاً في الدول الأوروبية وحتى أمريكا مثلها مثل الديمقراطية لاشتراكها في مبدأ واحد هو الحرية كحق فردي وهذا ما أكده عصام سليمان في كتابه الموسوم "مدخل إلى علم السياسة": لقد قامت الديمقراطية الليبرالية على افتراض أساسي وهو حرية الاختيار ونقلت مفهوم حرية المستهلك من مجال الاقتصاد إلى مجال السياسة، استطاعت الليبرالية تصور نظام سياسي يقوم على حرية الاختيار والاتجاهات السياسية². وعلى هذا الأساس لقيت انتشاراً واسعاً في جميع أنحاء العالم.

الليبراليين الشرقيين لا يدركون الممارسة الحقيقية للمعنى الليبرالي فيلجئون للإصلاح ولا يتأتى هذا الأخير إلا بالمفهوم الغربي لليبرالية، الذي يتعامل مع الليبرالية كأصل واحد مبدأه العقل ومنتهاه العقل³.

¹ - أشرف منصور: الليبرالية الجديدة جذورها الفكرية و أبعادها الاقتصادية، سلسلة الفكر، الهيئة المصرية للكتاب، د ط، 2008م، ص 197.

² - عصام سليمان: مدخل إلى علم السياسة، دار النضال للطباعة والنشر، بيروت، ط2 مزيدة، 1989م، ص 218، 219.

³ - عبد العزيزين مرزوق الطريفي: العقلية الليبرالية، دار الحجاز للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 2011م، ص 129.

الفصل الأول _____ الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

ولعل أهم الليبراليين اللتين عرفها التاريخ الليبرالي الغربي هما الليبرالية الفرنسية الليبرالية الإنجليزية:

أ. الليبرالية الفرنسية:

ارتبطت الليبرالية الفرنسية بالدفاع عن المصطلح وهذا ما يؤكد الليبرالي شارل دور وموزا بقوله: "تعالوا وظفوا مصالحكم تحت دراسة أفكارنا"¹، انقسمت الليبرالية الفرنسية إلى قسمين الليبرالية المعارضة والليبرالية السلطوية مدافعة عن مصالح فالأولى متمثلة في الطابع الإمبريالي. أثناء عودة الملكية حدث العديد من الاضطرابات وتصادمات بين المالكين من جهة والحاكمين من جهة أخرى أو الراغبين في الحكم والطامعين إليه ظهرت بعض الردود القوية التي دفعت في وجه الملكية وهذا ما عبر عنه لويس كوربيه في وصفه للبلاط الفرنسي الذي كان يركز وقتها على الطبقة الاجتماعية دون العامة لذا يقول لويس: "البلاط مكان وضيع للغاية، وهو تحت مستوى الأمة بكثير"². بمعنى أن البلاط الحاكم دون مستوى الأمة فصفة الوضاعة التي أطلقها لويس على البلاط الفرنسي تعني تجرده من الطابع لقيمي والأخلاقي .

ب. الليبرالية الإنجليزية:

الليبرالية الإنجليزية اقتصادية على عكس الليبرالية الفرنسية، التي كانت اتجهت صوب المشكلات السياسية وكان الإصلاح الانتخابي لعام 1832م إصلاح موجه لضمان تمثيل الصناعيين والمصدرين³، وهنا نجد الليبرالية الإنجليزية تسير وقف المبادئ التي حددها آدم سميث في مجال الاقتصاد الحر فلكل فرد حق التملك بالقدر الذي يشاء. على الرغم من تركيز الليبرالية على الحرية مثلها مثل الديمقراطية، في العديد من الأمور المتعلقة بالشؤون السياسية للدولة، إلا أنها لم تسلم من النقد نظرا لما تحمله من متناقضات.

فمتناقضات الليبرالية عديدة على المستوى السياسي منها:

السياسة الداخلية: اكتفاء الليبراليون المطالبين بعودة الملكية بالحرية في كل شيء بخفض الضريبة الانتخابية، معارضة المشاريع الإصلاحية كإيقاف حرية الصحافة.

¹ - جانتوشار: تاريخ الأفكار السياسية - الاشتراكية الليبرالية - القومية - السلفية، ج3، ص 188.

² - نفسه، ص 692.

³ - نفسه، ص 706.

الفصل الأول — الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

السياسة الخارجية: الليبراليون منادين للمغامرات الحرة، إضافة إلى التناقضات السياسية الدينية التجارية، السياسية الاجتماعية¹.

إنّ الايدولوجيا الليبرالية إيديولوجيا مختلفة بصورة سياسية فيها خلط بين البرجوازية والشعب وبين الثورة والإمبراطورية وبين الحريات والحرة السياسية والمشاعر الطيبة².

بناء على مسابق يتبين لي بأن ديمقراطية لا يمكن لها أن تتأني بسهولة تامة كما يعتقد الكثيرون فهي لا يمكن لها أن تكون بمجرد اختيار الحاكم بطريقة حرة وديمقراطية بل لا يمكن لها أن تكون إلا بعد مسيرة كفاح وتقديم تضحيات ، فالديمقراطية اليونانية ليست سوى مطمح ومطمع للعبيد وعامة من الناس ببساطة لأن خصمها قوي - الأرستقراطية- أما الديمقراطية في العصر الوسيط كانت شرقية ولم تكن غربية فالعالم الإسلامي كان أكثر أهبة واستعدادا لتطبيق مبادئ الديمقراطية فيما يسمى بالخلافة ، لأن الخليفة في الدولة الإسلامية لا يعين بالقوة وإنما يختاره جمع المسلمين بكل حرية أو ما يسمى بالمبايعة ، على عكس الغرب المسيحي الذي سادت فيه سيطرة الكنيسة ورجال الدين وتدخلهم في الأمور السياسية وحتى الشخصية ، ومع مجيء عصر الأنوار وتغير الفكر الغربي المسيحي رفعت شعارات الحرية من طرف رجال الفكر وحتى السياسة لتصطدم الديمقراطية بالقومية وينشأ خلاف من نوع آخر .

فالقومية تقف بمثابة الحصن المنيع أمام تقدم الديمقراطية بسبب الاختلافات الفكرية فالأولى ذات فكر محدود وضيق يأخذ الطابع التقليدي أما الثانية تتميز بالتنوع والاختلاف سواء كان عرقي ثقافي عقائدي... الخ، فالقومية تشترط في الفرد الولاء لقوميته في الوقت الذي تترك فيه الديمقراطية الحرية للفرد أو المواطن والنظر إليه على انه إنسان حرّ له ميولاته وأهوائه شرط أنّ يكون هذا المواطن على قدر كبير من الوعي سواء كان الثقافي أو الاجتماعي ، فالديمقراطية لا تعطي ثمارها ما لم يكن مواطنوها مثقفون وربما هذا ما أعاق تقدم الديمقراطية عبر فتراتنا المختلفة .

¹ - جان توشار: تاريخ الأفكار السياسية-الاشتراكية-الليبرالية-القومية-السلفية، ج3، ص 698.

² - نفسه، ص 694.



الفصل الثاني

الديمقراطية أبعادها

وصورها

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

الفصل الثاني

الديمقراطية أبعادها وصورها

عُرِفَت الديمقراطية على أنها حكم الشعب بنفسه ولنفسه بشكل مباشر أو عن طريق ممثلين يختارهم المواطنون بطريقة حرة وديمقراطية تعرف بالعملية الانتخابية، وإما أنّ تكون اجتماعية تتخذ إحدى أساليب الحياة بشتى أشكالها ممتدة إلى الحياة الاقتصادية، قام آلان تورين بتعريفه للديمقراطية على أنها تلك المبادئ المكونة لها يقصد بها كل من الحقوق الأساسية، المواطنة والصفة التمثيلية للزعماء وهي ما يشكل أبعاد الديمقراطية الثلاث فالديمقراطية لا تعني الحرية المطلقة فهذه الكيفية يتساوى الإنسان والحيوان، لأنّ الحرية الفارقة للضوابط إما أنّ تكون اجتماعية قانونية سياسية أو حتى أخلاقية حرية لا معنى لها تحمل بذور فنائها بين طياتها، يصبح وجود الآخر يشكل خطرًا على وجود الذات ويهددها في كل لحظة، وفي هذا انتهاك للحقوق، فما ضرورة تواجد القانون والسلطة؟

لذا أصبح من الضروري وخاصة في الديمقراطية الحديثة وجود حقوق تحددها السلطة القانونية وإيجاد مواطنين بالمعنى السياسي لهم وأمام كثرة المواطنة تصبح الديمقراطية بحاجة إلى ممثلين وزعماء لينوبوا عن المواطنين وهذا ما يستدعي صورًا ديمقراطية - ديمقراطية مباشرة، ديمقراطية نيابية، ديمقراطية شبه مباشرة - كمحاولة لتحقيق الديمقراطية الفعلية بالمعنى المجرد لها ونقلها الواقع. وما هي الأبعاد التي أعطاها آلان تورين للديمقراطية؟ وهل هناك أبعاد أخرى غفل عنها آلان تورين؟ وهل يمكن للديمقراطية أنّ تتحقق باتحاد تعريفها وأبعادها وصورها؟

هذا ما سأحاول الإجابة عنه من خلال هذا الفصل في المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف الديمقراطية عند آلان تورين .

المبحث الثاني: أبعاد الديمقراطية.

المبحث الثالث: صور الديمقراطية.

الفصل الثاني الديمقراطية أبعادها وصورها

المبحث الأول : تعريف الديمقراطية عند آلان تورين

الديمقراطية عند آلان تورين مرتبطة بمفهوم التقدم والرقي الاجتماعي والثقافي للشعب الذي يبحث عن نظام سياسي ديمقراطي، فالديمقراطية لا تتأتى إلا عن درجة معينة من الوعي الثقافي والحضاري والوعي السياسي للمواطنين، لا لشيء سوى لأنّ للديمقراطية لها ما يميزها عن غيرها من الأنظمة السياسية كالحرية والمساواة والعدالة... إلخ، وهذه الميزات لا يتصف بها سوى الشعب الذي وصل إلى درجة معينة من الوعي السياسي.

ينطلق آلان تورين في تعريفه للديمقراطية لتحليل العلاقة القائمة بين الذات والمجتمع، أو بين العقل والشعب، فالفرد له ذاته الراغبة في الحرية وتطلعاته السياسية في الوقت الذي ينتمي فيه هذا الأخير إلى مجتمع معين، ارتبطت السياسة الديمقراطية زمنًا طويلًا بمفهوم التقدم وفكرة الحداثة وفن العقلنة، بفكرة الدفاع عن المصالح الطبقية.¹ فبعدما تحرر الفكر البشري من قيود الكنيسة مع مجيء عصر الأنوار وبداية بروز الحرية السياسية بدأت تتضح معالم الديمقراطية كونها تمنح حق الحرية للأفراد في اختيار من يرأسهم ويتولى شؤون البلاد ويشترط في ذلك ضمان حرية الفرد في الوقت الذي تُحفظ فيه حرية الجماعة دون إحداث فوضى سياسية وحقوقية داخل الدولة لتبدأ الفاعلية بين الذات والمجتمع مع محاولة بناء علاقة من نوع جديد و يقصد بها علاقة التفاعل والتكامل.

يقول آلان تورين " فقد دافعت عن الفكرة القائلة أن الديمقراطية سعي لتوفيق ما بين الحرية الخاصة والاندماج الاجتماعي أو بين الذات والعقل في المجتمعات الحديثة".² يرى آلان تورين بأن الديمقراطية ليست نظام سياسي فقط بل هي نظام اجتماعي -ديمقراطية اجتماعية - تحترم حرية الفرد وتسخرها له وذلك بإعطاء الأفراد حق تقرير المصير حق الحرية الفردانية في ظل الاندماج الاجتماعي، وهو ما ترتب عنه هجرة الأفراد من مجتمع لآخر أو من دولة لدولة أخرى، فانتقال المهاجرين من مجتمعاتهم إلى مجتمعات أخرى يجعلهم عرضة للانصهار في ثقافة الآخر.

¹ - آلان تورين: نقد الحداثة، ص 417.

² - آلان تورين: ما الديمقراطية؟، ص 29.

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

يقول آلان تورين " ليس اندماج المهاجرين ناجحاً حيث ينصهرون في الجماهير وهو ناجح حيث يحترم الآخرون هويتهم الثقافية، لأنها تبدو لهم متساوقة مع الانتماء إلى مجتمع مشترك، ولا يكون المهاجر مندمجاً إلا حين يلقي القبول بتلك الصفة، وحين يعترفون باختلافه على أنه إغناء للمجتمع"¹.

هكذا ينبغي أن تكون الديمقراطية تحترم الآخر وتعترف به وتتقبله بهويته الثقافية وعرقته مع دمجها وسط المجتمع الجديد الذي بات ينتمي إليه بعد هجرته، وليس كما هو حاصل اليوم بالنسبة للمهاجرين، العرب والمسلمين من بلدان الشرق الأوسط أمثال السوريين والعراقيين واليمنيين نحو الغرب الأوربي واستغلال أغلبية الأوربيين لهؤلاء المهاجرين والنظر إليهم نظرة استحقار للآخر واعتبارهم مجموعة من الصعاليك و المتخلفين وعودة العبودية في ثوب جديد، فهؤلاء المهاجرين لا يمنحون أكثر من رتبة خدم داخل المنازل الأوروبية ولا يعاملون كذوات بشرية لهم جملة من الحقوق البشرية حتى ولو كانوا مهاجرين، لأن النظام الديمقراطي في أساسه قائم على التفاعل بين الذوات فيما بينهم كمواطنين داخل المجتمع الواحد بغض النظر عن الاعتبارات الأخرى أو بين الذوات والسلطة و الديمقراطية المعاصرة باتت ثقافة عابرة للحدود الجغرافية متجاوزة بذلك الحدود الوهمية.

يقول آلان تورين في مقابلة له نقلاً عن كتاب للمؤلفين فيليب كابان وجان فرانسوا دورتيه المعنون بـ: "علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات"، عندما سئل عن الاعتراف بالآخر فأجاب قائلاً: " المهاجر في نظري صورة رمزية للحدث لأنه يتوجب عليه تحديداً أن يتوصل إلى أن يوفق بين التعلق بجاليته بهويته الأصلية، وبين الدخول في عالم التقنيات والأسواق"².

المهاجر هو الذات المعبرة عن الصورة المثلى للديمقراطية لأنه يقوم بمهمتين الأولى محاولة الحفاظ على الهوية الوطنية للمهاجر كذات لها خصوصيتها الأولى المكونة لها، والثانية اندماجه مع المجتمع الذي هاجر إليه أي الذوات الأخرى المختلفة عنه، وهذا الاختلاف حتمي تفرضه عليه المتطلبات الحياتية والضوابط الاجتماعية والمواد القانونية الدخول ضمن هذا المجتمع اللاجئ إليه خاصة فيما تعلق بالتقنيات والأسواق العملية.

¹ - آلان تورين: ما الديمقراطية؟، ص 234.

² - فيليب كابان وجان فرانسوا دورتيه: علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات، ترجمة وإياس حسن، دار الفرقة، ط 1، 2010م، ص 226، 227.

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

يقول آلان تورين " لا يمكن للديمقراطية أن تقوم إلا في البلدان الأكثر غنى تلك التي تسود الكرة الأرضية والأسواق العالمية".¹ يربط آلان الديمقراطية بالجانب الاقتصادي وهذا ما يؤكد الواقع فالدول الأكثر غنى عالميا تنتهج الرأسمالية كنظام اقتصادي والديمقراطية كنظام سياسي، ولعل خير مثال على ذلك الولايات المتحدة الأمريكية فهذه الأخيرة تعتبر من أغنى دول العالم وتفرض سيطرتها على الدول الضعيفة ودول العالم الثالث، فهي تسعى إلى فكرة تنمية الآخر وجعله يسير وفق النمط الأمريكي اقتصاديا وسياسيا وكذا ثقافيا، وهذا ما ولد جملة من الصراعات بين الديمقراطية والثقافة وقيمها وهو صراع حتمي بين الديمقراطية كنظام سياسي والقيم كصفة إنسانية والثقافة كإحدى الصفات المميزة لكل شعب لوحده على غرار الشعوب الأخرى وربما حتى كصفة فردية لدى بعض الأفراد، فالديمقراطية اليوم أصبحت كقيمة عالمية لها خصوصيتها وثقافتها التي تميزها عن غيرها من الأنظمة السياسية فنحن اليوم أمام ضرورة الاعتراف بالآخر وتقبله بثقافته وعقليته، فهذا الاعتراف بالآخر بات أمرا محتوما على الديمقراطية كون هذه الأخيرة قائمة على الحرية التعددية الثقافية من قيم وعادات وتقاليد ومعتقدات وتعدد اللغات والألسنة من بين الخصوصيات وحرية كل فرد فهو حر في ثقافته وواجب على الديمقراطية أن تؤمن للأفراد هذه الحرية (حرية الاختيار) أو حق التنوع.

وفي هذا يقول آلان تورين " الديمقراطية اليوم هي الوسيلة السياسية للحفاظ على التنوع وجعل الأفراد والجماعات، مختلف بعضهم أكثر فأكثر من البعض الآخر يعيشون أيضا داخل مجتمع ينبغي أن يعمل أيضا كأنه وحدة"²، يرى آلان تورين بأن الديمقراطية المعاصرة تسعى للوحدة وتآلف في الوقت ذاته وربما هذه هي الحدائة تجاوز كل ما يمكن أن يكون عائق أمام التطور الفكري والفلسفي والتبادل الثقافي، لأنه من غير المعقول أن نجد مجتمع يعيش وفق نمط واحد (وحدة اللغة واللهجة واتحاد الميول وتوحد الراغبات والعقلية ذاتها) وهذا ما يستدعي ثقافة تقبل الآخر كما هو داخل المجتمع رغم الاختلاف .

¹ - آلان تورين: ما الديمقراطية؟ ، ص 29.

² - آلان تورين : نقد الحدائة ، ص 431 .

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

تطرق آلان تورين في تعريفه للديمقراطية إلى المفهوم الذي أعطاه الفيلسوف* يورغن هابرماس Jerje Hapermas عن الديمقراطية فلا وجود لهذه الأخيرة دون الاستماع للآخر والاعتراف به. الفعل التواصلية إحدى أولويات الفعل الديمقراطي داخل الأوساط الاجتماعية.¹

يقوم الفعل الديمقراطي على التواصل الفعال بين الذات (الذات الفاعلة) داخل المؤسسات الاجتماعية حتى تتحقق فاعلية الذات وتمتع بديمقراطيتها وتمارس الذات الديمقراطية ممارسة اجتماعية فعالة، مع محاولة ربطها بالقوانين الدستورية حتى لا تنفلت، يقول: هابرماس " يتمسك بمعنى الديمقراطية الجذرية بما هي تنظيم ذاتي للمجتمع من قبل مواطنين يوحدتهم التواصل".² غاية الديمقراطية تحقيق التواصل الاجتماعي بين المواطنين وذلك بتكامل الحوار فيما بينهم وتقوية العلاقات الاجتماعية وتمتين الروابط .

يرتبط آلان تورين بين الديمقراطية من جهة والسلام الاجتماعي من جهة ويمكن تأسيس الديمقراطية الحققة في ظل السلام الاجتماعي لأنّ هذا الأخير يضمن وحدة الشعب وتآلف الأفراد وتكامل المصالح بينهم ليتشكل مجتمع متكامل فلا يمكن لهذا التكامل أن يكون إلا في ظل السلام و الأمن الاجتماعيين، وهذا ما يؤكد في كتابه الموسوم بنقد الحداثة . يقول: "لا ديمقراطية بدون سلام اجتماعي، لأنه بدون هذا السلام الاجتماعي لا يمكن الدفاع عن الضعفاء"³، الديمقراطية الحققة هي التي تضمن المساواة بين مواطنيها لا فرق بينهم ولا وجود لقوي وضعيف فيها القوة هي التي تمثل القانون وهو عادل ونزيه يخدم جميع المواطنين دون تفرقة بينهم على الرغم من وجود الاختلاف الطبيعي بينهم سواء كان مادياً أو فكرياً أو ثقافياً أو عملياً... إلخ لأن المساواة حجر أساسي في النظام الديمقراطي.

*-يورغن هابرماس (HapermasJerjen): فيلسوف وعالم اجتماع ألماني ولد سنة 1929م وأبرز ممثلي مدرسة فرانك فورت وخير منطقي بينهم، ورأى أن مهمة الفلسفة المحافظة على إمكانية خطاب عقلاني يتمتع بدونه اشتغال الديمقراطية ودعا إلى فلسفة أنوار جديدة من أهم مؤلفاته: البنية السلوكية للحياة العامة 1962م، نظرية الفعل الاتصالي 1981م، نقلا عن جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، المنطقة المتكلمون والمتصوفون ، ص 688.

¹ - آلان تورين : نقد الحداثة ، ص 431 .

*الذات الفاعلة (Subject Sujet): سيكولوجيا ما بعد الشعور و التفكير فتتفق الذات مع الواقع و تتقبل الرغبات و المطالب و توحد الصور الذهنية ، مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، ص 321.

² -خديجة زيتلي وآخرون :الفلسفة السياسية المعاصرة قضايا وإشكاليات ، منشورات الضفاف ، منشورات الاختلاف ، دار الأمان للطباعة والنشر ، الرباط ، ط 1، 2014، ص 185 .

³ - آلان تورين : نقد الحداثة ، ص 446 .

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

يقول آلان تورين " الديمقراطية قوية عندما يتألف الوعي الديمقراطي مع مجتمع مفتوح تضعف فيه قوى التحكم الاجتماعي لصالح روح الابتكار والاستثمار والعقلنة الشخصية الديمقراطية والمجتمع المفتوح يتكاملان وأحيانا يتطوران في ترابط متبادل، وحينئذ تكون الديمقراطية في أقوى أحوالها"¹.

تشتد الديمقراطية وتزداد قوة عندما يكون المجتمع الذي تتواجد فيه أكثر وعياً و عقلنه عن ذي قبل وأكثر انفتاحاً بمعنى له أرضية خصبة مهياً لزرع بذور الديمقراطية حتى تعطي ثمارها، فالديمقراطية لا يمكن لها أن تنجح في أي مجتمع كان فمن غير المعقول أن يتقدم أي مجتمع من المجتمعات وهو لازال على الأطر الأولى للبداءة رافضاً لكل أنواع التطورات والحدائث تتقدم فيه كل أشكال التطور العقلي. نجد المؤرخ النمساوي هرنشو من مؤيدي النظام الديمقراطي والمشاركة الاجتماعية للفرد كمواطن سياسي فيقول : "إذ كل ما تعنيه كلمة الديمقراطية ، هو أن المجتمع ككل يملك سلطة السيادة ويحتفظ بالسيطرة النهائية على الأمور العامة، فالديمقراطية كشكل من أشكال الدول هي مجرد طريقة لتعيين الحكومة والإشراف عليها وعزلها"².

يرى هرنشو أن المجتمع صاحب القرار في الدولة الديمقراطية لذا وجب أن تكون العلاقة بينهم وبين أصحاب السلطة علاقة تكاملية وناجحة حتى يضمن نجاح الديمقراطية، فالشعب صاحب رأي وله طريقته الإشرافية على مقاليد السلطة وهي نوعان: إشراف بناء ومفيد يكون لصالح السلطة، وإشراف خطير يهدد بعزلها وهذا يكون في حالة ممارسة السلطة السيطرة التامة على مجموع الأفراد.

يقول فرانسيس فوكوياما: "ليس ثمة ديمقراطية بدون ديمقراطيين، أي بدون إنسان ديمقراطي يرغب في الديمقراطية، وكيفها في الوقت الذي تكيفه الديمقراطية فيه"³، وهذه هي غاية الديمقراطية ويسبب وجودها التكامل الوظيفي والفعلي بينها وبين المواطنين الذين كانوا السبب الأول في وجودها وكانت هي الأخرى ضامنة لاستمراره وبقائه ضمن مجتمع تلبي له متطلباته ورغباته في الوقت ذاته يشترط عليه جملة من الأفعال القانونية والإنسانية وحتى الأخلاقية مع إبقاء خصوصيته، وإعطائه حريته التي يأمل أن يحافظ عليها ويتمتع بها في كنف دولة الديمقراطية.

¹ - آلان تورين : نقد الحدائث ، ص 447 .

² - مولود زايد الطيب :علم الاجتماع السياسي ،ص 97 .

³ - فرانسيس فوكوياما :نهاية التاريخ وخاتم البشر ،ص 129 .

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

إنَّ المواطنون يمتلكون في الديمقراطية امتياز فريد في إنتاج هذا النظام نفسه بنفسه والذي يسهم بشكل واع وإراديا عبر التشريع لأنفسهم بأنفسهم ومن حيث هم أبناء القوانين فهم أيضا آباؤهم.¹ بمعنى الشعب صاحب القرار في الدولة . وهذا ما نجده عند الكسي* دوتوكفيل في قوله: " بلا أخلاق لا يمكن للحرية أن تسود، وبلا إيمان تختفي الأخلاق"². دوتوكفيل يرى بأنَّ المجتمع الديمقراطي الجديد سيكون أقل تألقاً من المجتمع الأرستقراطي لكنه سيكون أكثر تعرضاً للشقاء، لأنه أكثر تمسكاً بالأخلاق الرفيعة من المجتمع الأرستقراطي الذي تتفاوت فيه القيم الأخلاقية كما تتفاوت فيه الطبقة، على عكس المجتمع الديمقراطي الذي يمارس الأخلاق العالمية كالحرية والمساواة الإنسانية.

عادة ما يقرن مفهوم الديمقراطية بمبادئ سياسية أو اجتماعية معينة مثل مبادئ المساواة أمام القانون وحرية الفكر والعقيدة وتحقيق العدالة الاجتماعية وجملة هذه المبادئ والحقوق يكفلها الإسلام.³

لقد أكد الإسلام على ضرورة تطبيق مبدأ الديمقراطية في جميع أمور المجتمع لا أن يكون الرأي حكراً لفرد واحد أو قلة من البشر، لأنَّ الحكم في الإسلام قائم على مبدأ الشورى وهذه الأخيرة أصلاً أساسياً من أصول الحكم الديمقراطي.⁴

وهذا ما نجده عند آلان تورين فالديمقراطية التي يبحث عنها آلان تورين هي ديمقراطية تشاورية تقوم على فاعلية الفرد أو المواطن سواء الفرد كأحد أعضاء المجتمع فاعليته اجتماعية وعلاقته بالمجتمع علاقة بين ذاته وذوات الآخرين أي ذوات الأفراد الاجتماعيين، أو اعتبار المواطن كعضو فعال هو الآخر ضمن إطار سياسي قد يكون

¹ - لوي ألتوسير: مونتسيكو السياسية والتاريخ، ترجمة نادر ذكرى، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د ط ، 2006م، ص 60.

* - أليكسي دو توكفيل (Alexis De Tocqueville): (1805م-16 نيسان 1859م) وهو فرنسي الأصل ينتمي إلى طبقة النبلاء شغل العديد من المناصب الأكاديمية والسياسية منها نائب في البرلمان الفرنسي ووزيراً للشؤون الخارجية الفرنسية وله العديد من المؤلفات أشهرها الديمقراطية في أمريكا الذي أصدره في مجلدين بعد رحلته الشهيرة إلى الولايات في نيسان 1831م بالغاً من العمر 25 سنة بحثاً عن الديمقراطية التي لم يجدها في فرنسا في وقتها، ينظر إلى جوزيف ابستائين، ألكسي دو توكفيل المرشد إلى الديمقراطية، ص 13، 14.

² - جوزيف ابستائين: أليكسي دو توكفيل المرشد إلى الديمقراطية، ترجمة سميرة ممدوح الشامي، مراجعة اسماء محمد عادل، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ط 1، 2010م، ص 53.

³ - محمد ضياء الدين الرئيس: النظريات السياسية الإسلامية، دار التراث، القاهرة، مصر، ط 7، دت، ص 379.

⁴ - موزة أحمد راشد العبار: البعد الأخلاقي للفكر السياسي الإسلامي عند الفارابي والمواردي وابن تيمية دراسة تحليلية نقدية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الإسكندرية، 2000م، ص 155.

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

جهوي أو حزبي أو مواطن عادي بسيط تكون فعاليته في تأدية واجباتها السياسية كمواطن وإدراجه ضمن الفعل السياسي وذلك عبر مشاركته في الانتخاب إما كمرشح مع أحد الأحزاب أو كمواطن عليه واجب الاقتراع وتصويت آلان تورين يصرح ويقول: " في الواقع كنت على الدوام ضد النزعة المجتمعاتية-ant sociologist أولوية دور المجتمع وكتبت منذ عشرين عاما مقالا بعنوان كيف نستغني عن المجتمع من أجل فضح الخطأ في اعتبار أن المجتمع فقط منظومة تضطلع بوظائف محددة بدقة"¹. كان آلان في البداية يختصر مهمة المجتمع ضمن جملة من العلاقات الاجتماعية الإنسانية كغيره من المجتمعات الأخرى - مجتمع النمل مثلا- والوظائف التي توكل إليه لكن فيما بعد أدرك بأن الديمقراطية لا يمكن لها أن تنشأ إلا في مجتمع تكون فيه الفاعلية عنصراً جوهرياً وأساسياً بين أفرادها فهي المحرك لعجلة النشاط الاجتماعي والتفاعل المؤسسي.

وهذا ما يؤكد آلان تورين بقوله: " المجتمع الديمقراطي مجتمع يعترف بالآخر ليس باختلافه بل كذات فاعلة، أي لكي يوجد الكوني والخصوصي"². وهذا الاعتراف لأننا الاجتماعية بالذات الفردية يحقق ديمقراطية فعالة وناجحة فبداية الاعتراف بالآخر وتقبله بداية لممارسة مبادئ الديمقراطية أولها حرية الاختلاف والإبقاء على هوية الفرد وخصوصيته ضمن إطار المجتمع، وهو الآخر له هويته ولكن الجماعية بمعنى اتفاق فيما يخدم الصالح العام أي الكليات دون الجزئيات فمصلحة المجتمع من مصلحة الفرد مع الأخذ بعين الاعتبار المصالح الفردية دون التعارض بين الجزئيات والكليات من المصالح . يقول آلان تورين: " الديمقراطية هي الاعتراف بحق الأفراد والجماعات في أن يكونوا فاعلي تاريخهم لا أن يكونوا متحررين من أغلالهم فقط"³.

لا يوجد أي معنى للاعتراف بالذات الأخرى في الديمقراطية إن لم تكن هذه الذات المعترف بها ذات فاعلة وصانعة للحدث والتاريخ فالاعتراف بالذات في المجتمع الديمقراطي لا يعني التحرر من القيود فقط بل يعني العطاء الفعال والإيجابي لهذه الذات وتأكيد لها لواجباتها تجاه المجموع ولا تبقى حبيسة المطالبة بحقوقها فقط.

¹ - فيليب كابان وجان فرانسوا دورتيه: علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات، ص 224.

² - نفسه ، ص 227.

³ - آلان تورين: ما الديمقراطية، ص 34.

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

إنّ مبدأ الواجب الدّي يميز الفرض الحقوقي، يصدر عن العادة الاجتماعية فهي التي تملّي واجب احترام التضامن الاجتماعي والعمل على تحقيقه¹.

إنّ جُملة العادات الاجتماعية تبدي طابع تلاحمي بين أفراد المجتمع فهي تملّي واجب احترام هذا التلاحم أو ما يعرف بالتضامن الاجتماعي بهدف تدعيمه وتقويته حتى يتحقق مبدأ الواجب الفعلي الدّي يميز الفرض الحقوقي .

إنّ الديمقراطية التي يبحث عنها آلان تورين تشبه الديمقراطية المثالية نوعاً ما لأن الديمقراطية بالنسبة له هي التكامل الفعال بين الذوات الاجتماعية وبين الاعتراف بالآخر وهذا من الصعب تحقيقه على أرض الواقع لا لشيء سوى لأن الذوات تختلف فيما بينها، وباختلافها تختلف مصالحها فكيف يحقق الصالح العام إن كان ثمة اختلاف أو تضارب بين مصالح الذوات الاجتماعية؟

هنالك صعوبة بين عملية التنسيق والتكامل بين الذوات في الوقت الدّي تسمح فيه الديمقراطية بالتنوع واستقبال الآخر على هويته وإعطائه الحرية في معتقده وثقافته ولغته... إلخ، وقبوله بكل هذه التنوعات والاختلافات فكيف يحافظ على وجوده مع كل هذا؟ في الوقت الدّي يشترط فيه أن يكون الفرد مثالي وإيجابي داخل المجتمع فهنالك بعض المتطلبات الاجتماعية أو متطلبات الصالح العام قد تتعارض والخصوصية الفردية وهنا إمكانية حدوث صراعات قيمية وثقافية بين الذات الفردية والذوات الأخرى حينها يحتل نظام السلم والأمن الديمقراطي.

بات من الضروري الابتعاد عن الصراع الدّي قد يحدث بين أصحاب السلطة السياسية والشعب بسبب بعض الاختلافات الحاصلة بينهما وعدم تنازل كل من السلطة التي تحكمها شرعية القانون والأفراد الدّين يتمتعون بجملة الحقوق التي حولها لهم القانون نفسه، والمقصود هنا هو الحرية.

¹ -فرانسوا شا تولي: تاريخ الأفكار السياسية، ترجمة خليل أحمد خليل، سلسلة الدراسات التاريخية و الايديولوجية 2، الصادرة عن مجلة كتاب الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، تحرير رضوان السيد، بيروت، ط1، 1984م .

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

يقول أرنست رينان: " لا يمكن أن يحكم بلد ديمقراطي حكماً صالحاً ولا أن يدار إدارة حسنة ولا أن يسلس قياده"¹، يرى رينان بأن تراجع فرنسا وضعف قوتها الحربية سببه رفاهية الديمقراطية وما توفره للشعب من رفاه ورخاء، ناهيك عن الانحطاط الفكري والأخلاقي المنجر عن الديمقراطية فهذه الأخيرة إحدى أهم الأسباب المؤدية إلى التراجع الفكري والذنو الأخلاقي ويؤكد رينان على ضرورة تخلص فرنسا من الديمقراطية نهائياً فهو يصفها بالداء الذي أصاب الفرنسيين ودواء علة الديمقراطية هو الإصلاح الفكري والأخلاقي.

يقول رينان: "إنّ الفلسفة ستحكم العالم ذات يوم وأن السياسة ستزول وستكون الثورة التي ستجدد الإنسانية دينية وأخلاقية لا سياسية"². فرجال السياسة اليوم يتحولون من رجال أخلاقيين قبل ممارسة الفعل السياسي إلى رجال لا أخلاقيين يتعدون على جملة الأفعال والسمات الأخلاقية متناسين كل الوعود التي قدموها للمواطنين الذين منحوهم الثقة بإعطائهم أصواتهم واختيارهم ممثلين لهم، ففساد أخلاقيات المواطنين من فساد أخلاقيات حكامهم ورؤسائهم كما قيل "إنما الأمم على دين ملوكهم"، حتى لا يتحول هؤلاء السياسيين إلى ذئاب ينظرون إلى مواطنين على أنهم فرائس أو جسر يمرون من خلاله إلى المقاعد السياسية العليا ليس إلا فأزمة اليوم فعلاً أزمة خلقية وليست سياسية. يقول آلان تورين: "ما نظرية الديمقراطية سوى نظرية الشروط السياسية لوجود الأمور الذي لا يمكن تعريفه أبداً بواسطة علاقة مباشرة من الذات إلى الذات والتي هي وهمية"³.

يرى آلان بأن العلاقة التي تحكم الأمور بالمأمورين هي علاقة وهمية لا أساس لها من الواقعية فالحكام بمجرد وصولهم إلى مقاعد السلطة تحدث القطيعة بينهم وبين المواطنين الذين منحوهم الثقة في بداية العمل الانتخابي وأغلبها تكون خماسية تتضمن جملة من الشروط السياسية يحددها الحاكم ، وهذا الأخير تغيب علاقته المباشرة بالمواطنين بمجرد وصوله للحكم تتحول العلاقة إلى نيايية ينوب فيها أعضاء البرلمان عن المواطنين.

¹ - أرنست رينان (Renan Ernest): كاتب وفيلسوف فرنسي (1823-1892م) كان إحدى ملهمي الحساسية الدينية الفرنسية في القرن التاسع عشر وكانت دراسته الأولى في المدرسة الكهنوتية في تريغيب (1832-1838م) على أيدي معلمين دينيين حفظ لهم طوال حياته حب عميق كما استكمل دراسة الأدب القديم في باريس، حورش طرايشي، معجم الفلاسفة (المناطق المتكلمون والمتصوفون) ، ص 339.

¹ - جان توشار: تاريخ الأفكار السياسية الاشتراكية- الليبرالية- القومية- السلفية، ج 3، ص 396.

² - نفسه، ص 896.

³ - آلان تورين: ما الديمقراطية؟، ص 30.

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

المبحث الثاني: أبعاد الديمقراطية

يتميز نظام الحكم الديمقراطي على غرار من الأنظمة السياسية الأخرى بثلاثة أبعاد أساسية وفعلية في الواقع السياسي على الأقل بالنسبة لبعض الدول الديمقراطية وهي: احترام الحقوق الأساسية، المواطنة (الإصلاح الديمقراطي)، الصفة التمثيلية للزعماء.

1. البعد الأول: احترام الحقوق الأساسية

هذا البعد يتكبد من مصطلحين هما: الاحترام والحقوق الأساسية فالاحترام Respect هو الامتناع عن التفريط فيما يجب القيام به من حق القانون، أو الشخص أو أي شيء نقول احترام الشخص الإنساني واحترام أخريات واحترام الحقيقة، واحترام الحقوق المكتسبة¹. أدرج هذا المصطلح في السياسة وأصبح أحد أهم المصطلحات المتداولة في الحقل السياسي خاصة السياسة الحديثة والمعاصرة.

أما الحق Droit واحد الحقوق وله معنيان الأول هو ما كان فعله مطابقاً لقاعدة محكمة كقولنا "الجميع المواطنين حق الاشتراك بأنفسهم، أو بواسطة ممثليهم في وضع القوانين" إعلان حقوق الإنسان لعام 1789م المادة 04، والثاني هو ما تسمح القوانين الوضعية بفعله، سواء كان السماح صريحاً أو كان نتيجة مبدأ عام يسوغ كل فعل غير محظور².

لذا نجد آلان تورين ركز على احترام الحقوق الأساسية كإحدى أبعاد الديمقراطية وأولها، لأن كل مواطن لا يمكنه أن ينخرط في المواطنة أو المجال السياسي، إنَّ تولد لديه شعور بالخوف حيال حقوقه التي يتمتع بها بالطبيعة وطموحه نحو الحقوق المدنية التي يسعى إلى كسبها من وراء اشتراكه أو انتمائه للدولة، ليحصلها ويضمن دعمها بصفة قانونية وشرعية.

¹ -جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 1، ص 31.

² - اسماعيل عبد الفتاح الكافي: الموسوعة المسيرة للمصطلحات السياسية، ص 483.

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

يقول آلان تورين: " لا يسمح لفكرة الديمقراطية أن تكون منفصلة عن فكرة الحقوق"¹. آلان يقرن فكرة الحقوق اقران واضح وصريح بالديمقراطية لا يمكن للديمقراطية أن تكون أو تتكون بعيداً عن الحقوق الأساسية التي يتمتع بها المواطن فهو ويكتسب بعضها بالفطرة حينما كان فرد طبيعي وهي حقوق حولتها له الطبيعة قبل أن يتحول إلى مواطن مدني وسياسي كان يتمتع بها في الطبيعة الحرة، فبانتقاده لهذه الحقوق الأساسية يصبح بمثابة السلع التجارية، ويتحول الحكم الديمقراطي إلى حكم استبدادي ومن ثمة يصبح المواطنون عبيداً لدى سيدهم — الحاكم- يتحكم بهم كما يشاء لأنهم أصبحوا مهضومي الحقوق. يقول آلان تورين: " إن فكرة الحقوق الاجتماعية هي التي تمنح في العالم الحديث فكرة حقوق الإنسان قوتها الكاملة"².

يرى آلان تورين بأن فكرة حقوق الإنسان اليوم في العالم الحديث التي يتمتع بها الفرد داخل الدولة تستمد شرعيتها من فكرة الحقوق الاجتماعية لأن الفرد جزء لا يتجزأ من المجتمع فهو العنصر الواحد المركب للمجموع فإن تم استعباده من طرف المجموع وهضمت حقوقه يصبح عبداً للمجتمع قبل أن يكون عبداً للحاكم لذا فشرعية الحقوق المدنية والسياسية تنبع من شرعية الحقوق الاجتماعية وهذا ما عمل عليه العلماء والفلاسفة الاجتماعيين على إعطاء الفرد حقه داخل المجتمع الذي ينتمي إليه، كحقه في التعبير وهذا ما يصطلح عليه بالرأي العام.* تسعى الديمقراطية إلى بناء مؤسسات اجتماعية وسياسية لتطوير الفعل السياسي والسلوك الاجتماعي مرتكزا على مبدأ المساواة داخل هذه المؤسسات لتنظيم العلاقات الاجتماعية واحترام حقوق الانسان وحرية الفرد داخل المجتمع فهي تدخل في تكوين الفرد والجماعة.

العملية عكسية كلما تقيدت الأكتريه بمبادئ الديمقراطية كان ضمانا لحقوق الأقليات السياسية لأن الأكتريه من الشعب تعني الأكتريه الحاكمة لأن النظام الديمقراطي في تعريفه هو نظام الناتج عن تصويت الأكتريه ورفض التميز العنصري تجسيد الحرية بكل واقعية وليست شعارات ترفع فقط فالمنبع الأصلي للديمقراطية تنبع من ذوات الأفراد لأن الشعب نفسه مصدر للديمقراطية.

¹ - آلان تورين: ما الديمقراطية ، ص 40.

² - نفسه ، ص 45.

* - الرأي العام (public opinion): وهو وجهات النظر السائدين لدى جمهور معين أو رأي معين إزاء موقف أو مشكلة من المشكلات وجماعة الرأي العام أو الجمهور مشترك المصالح هو عدد كبير من الافراد يشتركون عن إدراك في وحدة المصالح ولذلك يتولد لديهم شعور بالوحدة وتحقق الذات، إسماعيل عبد الفتاح الكافي، موسوعة المسيرة المصطلحات السياسية (عربي انجليزي) ،ص 224.

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

وهذا ما جعل نظام الديمقراطية يختلف من دولة إلى أخرى بسبب الاختلاف في فهم الحقوق الأساسية للمواطن المتحكم فيها بالدرجة الأولى والمجتمع واختلاف الذوات خاصة الأقليات منها المتحيزة إلى عرقيتها وطائفيتها فالأقليات تطالب بحقوقها الاجتماعية الأصلية التابعة لهويتها وذاتيتها المتحيزة فيها، وقد تتحول هذه الذاتية إلى تطرف إن لم تقابل بالاحترام من طرف المجتمع وذواته أو من طرف السلطة وحاكميها تجاه هذه الأقليات.

يقول آلان تورين: "إن الاعتراف بالحقوق الأساسية، التي لا تحدد فقط سلطة الدولة بل معها أيضا سلطة الكنائس والأسر والمنشآت لا يستغنى عنه لوجود الديمقراطية"¹. الاعتراف بالحقوق الأساسية يحدد كل من سلطة الدولة وهي* السلطة الشرعية إلى جانب سلطة الكنائس، فالسلطة السياسية تستمد قوتها من احترام قوانينها وتطبيقها بحذافيرها لترداد الديمقراطية قوة وتكتسب هبة إلى جانب الخضوع إلى السلطة السياسية احترام جملة القوانين المدنية والاجتماعية والثقافية مع مراعاة الأولوية والأسبقية الزمنية.

يطالب آلان تورين السلطة السياسية بضرورة احترامها لحقوق الفرد وجعله مواطنا مدنيا له حقوقه المدنية أولاً وقبل كل شيء حتى يكون مواطنا ديمقراطيا وتكون السلطة السياسية سلطة ديمقراطية وليست دكتاتورية أو أرستقراطية مع منح شرعية باقي الحقوق كالحقوق الاجتماعية وتمتع المواطن بها دون أي ضغط من طرف المؤسسات والهيئات الاجتماعية، إلى جانب ذلك هنالك حقوق ثقافية فالمواطن له الحرية اتباع الثقافة التي تتماشى وخصوصياته وأهواءه ورغباته ولا يحق للسلطة السياسية أن تفرض ثقافة معينة على جميع المواطنين وهذه هي الثقافة الديمقراطية التي تقبل جميع الثقافات على اختلافها وتعددها وتنوعاتها بكل حرية دون أي إكراه للمواطنين .

¹ - آلان تورين: ما الديمقراطية؟، ص 48.

*-السلطة الشرعية : وهي السلطة المعترف بها في القانون لسلطة الحاكم والقائد والوالد وهي مختلفة في القوة، لأن صاحب السلطة الشرعية يوحى بالاحترام والثقة في حين أن صاحب القوة يوحى بالخوف والحذر ولذلك قيل أن سلطة الدولة في النظام الديمقراطي مستمدة من ارادة الشعب لأن الغرض منها حقوق الناس، ينظر إلى جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص670 .

الفصل الثاني الديمقراطية أبعادها وصورها

2. البعد الثاني: المواطنة (Citizenship)

المواطنة ببساطة شديدة هي الدور الإيجابي للفرد بصفته مواطنًا، وأكد الفيلسوف روسو على مفهوم المواطنة معلنا أنه يعتمد على دعامتين أساسيتين المشاركة الإيجابية من جانب الفرد في عملية الحكم والمساواة الكاملة بين أبناء المجتمع الواحد كلهم¹.

عرفت المواطنة في العصر اليوناني على أنها موروثه تكتسب بالولادة يتوارثها الأبناء عن الآباء فالمواطنون فقط يتمتعون بحق تولي المناصب السياسية والإدارية والمشاركة في الاجتماعات الشعبية العامة لمناقشة شؤون المدينة.² الديمقراطية في العصر اليوناني لم تكن ديمقراطية بالمعنى الحقيقي للمصطلح. فشرط المواطنة يثمن ذلك تم احتكار صفة المواطنة على الأبناء المولودين بالفطرة - على حد التعبير اليوناني للمواطنة- مواطنين وفي هذا تفرقة بين الأفراد وغياب للمساواة.

فالديمقراطية الحقة هي التي تعترف بوجود مواطنين لهم صفة المواطنة ليست تلك الصفة التي تكلم عنها اليونانيون -الوراثية- بل المواطنة بالمفهوم الحديث، وهو المفهوم الفعال والإيجابي للفرد الذي يدي فعاليته داخل المجتمع والدولة، في اختيار حاكم واختيار من ينوب عنه عن طريق العملية الانتخابية والمساواة الاجتماعية بين الذوات كمواطنين. يقول آلان تورين: " إن فكرة المواطنة تهب فكرة الديمقراطية معنى ملموسًا، إنه بناء مجال سياسي خالص غير منسوب للدولة وغير تجاري"³.

يرى آلان بأن مجموع الأفراد المنتمين إلى مجتمع سياسي معين يجهلون حقوقهم كمواطنين راضيين بمبادئ العيش البسيط بعيدين عن المشاركة الفعلية للفعل السياسي بغض النظر عن المشاركة الانتخابية على الرغم من أهم الحقوق السياسية التي يتمتع بها الأفراد داخل الدولة تابعين لها لهم جملة من الحقوق في مقابل جملة الواجبات التي تليها عليهم الدولة، وهي مفروضة من قبل الحاكمين بنصوص قانونية.

¹- إسماعيل عبد الفتاح كافي: الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، ص 437، 438.

²- عصام سليمان: مدخل إلى علم السياسة، ص 217.

³- آلان تورين: ما الديمقراطية؟، ص 126.

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

إلا أنّ العملية الانتخابية تتصف في بعض الدول -الديمقراطية- بالشكلية فقط دون الفعالية، بمعنى أنّ المشاركة الانتخابية تقتصر على اختيار الحاكمين فقط، دون الرجوع إلى هؤلاء الأفراد وإشراكهم في حق تقرير المصير. وبهذا يفتقد المواطن صفة المواطنة داخل الدولة الديمقراطية ويصبح عبارة عن فرد عادي ليس له أدنى حقوق المواطنة كما أنه يشبه العبيد في الحكومة الملكية أو الأرستقراطية إن غاب رأيه وخمدت فاعليته .

يقول آلان تورين: " إنّ الناخبين مواطنون ويعتبرون أنفسهم كذلك فماذا يعني الاختيار الحر للحاكمين ما لم يولي المحكومون الحكومة من أهمية... ذلك الوعي بالانتماء ليس حاضرا في كل مكان ولا يطالب الجميع بحق المواطنة"¹. يولي آلان أهمية كبيرة للمواطنة ويعتبرها أساسية لنجاح الديمقراطية فهي المحرك لها، ولا تتأتى الديمقراطية إلا بها فباكتساب الفرد شرعية المواطنة تكتسب الدولة شرعية النظام الديمقراطي ممثلة في الإصلاح الديمقراطي بشرط أنّ يكون هؤلاء المواطنون على درجة كبيرة من الوعي، يشعر الآخر بالمواطنة أثناء مشاركتهم السياسية داخل الدولة عن طريق اختيار رؤساء الأحزاب وممثليهم في مقاعد البرلمان وإشراكهم وتفاعلهم السياسي والاجتماعي وفق ما يسمح به القانون.

إمكانية تعارض فكرة المواطنة مع الديمقراطية نفسها لتتحول إلى مواطنة عدائية تعد هذه أحد الأسباب التي تهدد الديمقراطية، من بين أهم سمات المواطنة حسب آلان تورين التلاحم الاجتماعي، لا وجود لصفة المواطنة بعيدا عن الترابط بين أفراد المجتمع الواحد وتكامل الوظائف فأداء الفرد الواحد لواجبه ضمان لحقوق غيره والعكس صحيح، وواجبات غيره ضمان لحقوقه فإشراك أفراد المجموع في ثقافة الواحدة ووحدة التاريخ مع اقتران مصير الأفراد ببعضهم البعض بحكم انتمائهم لراية الدولة الواحدة، في مقابل هذا الانتماء تضيع الحريات الفردية باسم الجماعة، مع إمكانية تعارض المصالح السياسية للمواطنة وشمولية حقوق الإنسان.

يرى فرانسيس فوكوياما أنّ تقتصر مواطنة الجماهير الغفيرة من الناس على انتخاب ممثلين لهم بضع سنوات، أما الحكومة فبعيدة ولها صفة الشخصية الاعتبارية داخل نظام يقتصر أعضاؤه المباشرين المشاركين في العملية السياسية على المرشحين للمناصب².

¹ -آلان تورين: ما الديمقراطية؟، ص 47.

² - فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص 280.

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

يقول آلان تورين: " إن مفهوم المواطنة يرتكز على الاعتراف للمواطن بالحقوق السياسية في حين لا ينطوي مفهوم الدولة القومية على أي إحالة للديمقراطية"¹. يرى آلان تورين أنّ المواطنة يمتلكها الفرد في حالة اعترافه بالحقوق السياسية. بمعنى يدخل الفرد المجال السياسي بقيامه بجملة الواجبات الملقاة على عاتقه ومطالبته بحقوقه المدنية كحقه في الترشح للانتخاب، على عكس الدولة القومية التي يكون فيها الفرد فردا قوميا تابعا وليس حرًا طليقا ليس له حقوق سياسية كما هو الحال في الدولة الديمقراطية لتحقيق* المصلحة السياسية .PoliticalReconciliation

3. البعد الثالث: الصفة التمثيلية للزعماء

يُقصد بالصفة التمثيلية للزعماء في النظام الديمقراطي أولئك النواب أو الممثلين الذين تم اختيارهم من طرف المواطنين بصفة شرعية وقانونية عن طريق الانتخاب وهي إحدى أساسيات الديمقراطية الحديثة.

الديمقراطية هي ممارسة الحكم باسم غالبية الشعب المعبر عن إرادته بالاقتراع العام وهذه هي الديمقراطية والذين يمارسون حكمهم الأشخاص الذين يقع عليهم اختيار الشعب، فالديمقراطية تتعارض تماما مع مبدأ السلطة التي لا تنبع من إرادة الشعب فهي نظام حكم يهدف إلى إدخال الحرية في العلاقات السياسية².

يكتسب رؤساء الأحزاب مقاعد برلمانية ومجالس نيابية عن طريق* الانتخاب (Sélection) أو الاقتراع العام فترفع مناصبهم السياسية بفضل كسبهم ثقة المواطنين فيمنح هؤلاء الصفة التمثيلية ويصبحون زعماء على المواطنين متكلمين بألسنتهم للحاكم عن متطلباتهم وانشغالاتهم، وهنا تكون الديمقراطية إنّ صح القول نصف ديمقراطية أو حزبية ديمقراطية، لأن الديمقراطية في هذه الحالة -الديمقراطية كصفة تمثيلية تمنح للبعض فقط- تكون

¹-آلان تورين: براديفما جديدة لفهم عالم اليوم، ص 105.

* - المصلحة السياسية (PoliticalReconciliation): هي الهدف الرئيسي للأنظمة الديمقراطية المحافظة هي حدكاف من الرضا العام في الأفكار والعمل وتجانس كاف لدعم الواقع الراهن والكفاح فقط من أجل البقاء على التوازن الاجتماعي الموجود، ينظر إلى الموسوعة المسيرة للمصطلحات السياسية، إسماعيل عبد الفتاح الكافي، ص 402،403.

²- عصام سليمان: مدخل إلى علم السياسة، ص 214.

** - الانتخاب (Selection): عملية انتقاء أو اصطفاء تؤدي إلى حفظ الأفراد المتصفين بأكمل الصفات إما على الاطلاق وأما بالقياس إلى غيرهم وهو قسمان إرادي وطبيعي، جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 1، ص 147.

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

بين الزعماء السياسيين ورؤساء الأحزاب والبرلمانيين مع الحاكم الديمقراطي ويقصى الديمقراطيون البسطاء من هذه الدائرة الديمقراطية وتغيب الديمقراطية بين المواطنين البسطاء والحاكم، في الوقت الذي لا يمكن وضع الثقة العامة والعمياء في جميع النواب أو الزعماء السياسيين لا لشيء سوى لأن هؤلاء الزعماء إن لم نقل الكل نقول البعض مجرد وصولهم إلى المقاعد التي كانوا يلمون بها في السابق تتغير أفعالهم وأقوالهم وحتى أخلاقهم وتغيب النزاهة وتتحول السياسة إلى خبث ليخرج الزعماء السياسيين من المضمار القيمي والأخلاقي إلى مكر السياسة . يقول آلان تورين: "الصفة التمثيلية للزعماء هي وجود فاعلين اجتماعيين يكون الوكلاء السياسيون آلات لهم وممثلين، أما والمجتمع المدني مؤلف من تعددية الفاعلين الاجتماعيين فلا يسمح للديمقراطية أن تكون ذات صفة تمثيلية مالم تكن تعددية"¹.

يرى آلان بأن الصفة التمثيلية للزعماء لا معنى لوجودها في حال تجردها من الفاعلين الاجتماعيين حتى لا يقع هؤلاء -الفاعلين الاجتماعيين- في أيدي الوكلاء السياسيين فالمجتمع المدني بمثابة الرقيب للسلطة الديمقراطية لا يتأتى وجودها مالم يسمح بوجود التعددية حتى تكون أكثر شرعية لأن الأفراد سيستلمهم ذلك- التعددية الحزبية- باسم الحرية وحق الاختلاف داخل المجتمع الواحد وهم المشكولون* للأمة Nation وهذه الأخيرة تعرف على أنها وجه سياسي أكثر مما هي فاعلية اجتماعية لأنها تحتوي القضايا الكبرى للسياسة ولا تبحث عن جزئياتها الاجتماعية.

يقول آلان تورين: "لا يمكن فصل تعددية الفاعلين السياسيين عن الاستقلال الذاتي وعن دور العلاقات الاجتماعية الحاسم، فالمجتمع السياسي الذي لا يعترف بتلك التعددية للعلاقات والفاعلين الاجتماعيين لا يمكن أن يكون ديمقراطياً"².

يؤكد آلان على ضرورة فاعلية المجتمع مركزاً بذلك على العلاقات الاجتماعية فهي المحرك الأساسي للناشطين السياسيين، كما تسمح لهم بالتعددية الحزبية لأن المجتمع الديمقراطي يحمل بين ثناياه العديد من

¹-آلان تورين: ما الديمقراطية؟، ص 47.

* - الأمة : الأمة جملة الأفراد الذين يكونون وحدة سياسية وتجمع وحدة الوطن والتراث والمشاعر من آلام وآمال، ينظر إلى إبراهيم مذكور المعجم الفلسفي، ص 23.

²-آلان تورين: ما الديمقراطية؟، ص 47.

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

الأجناس والأعراف ولا وجود فيه للطبقية الاجتماعية، فهو مجتمع يعترف بمختلف الأديان والثقافات وهذا ما يترتب عنه علاقات اجتماعية لا حصر لها، لذا من الضروري التركيز على هذه العلاقات الحاسمة وتفعيلها بين ذوات المواطنين وذوات الزعماء التمثيليين، حتى يتحقق مجتمع سياسي ديمقراطي.

يقول آلان تورين: "حين يكون الفاعليون الاجتماعيون والفاعلون السياسيون مترابطين بعضهم البعض الآخر وتكون الصفة التمثيلية الاجتماعية مضمونة عندها يمكن للديمقراطية أن تنمو على مداها، لكن شرط أن تكون تلك الصفة التمثيلية مقرونة بتحديد السلطات ووعي المواطنين فالديمقراطية لا تقتصر أبداً على انتصار معسكر اجتماعي أو سياسي ولا حتى على غلبة طبقة"¹.

إن نمو الديمقراطية وتطورها متوقف على الترابط والتلاحم بين الفاعلين الاجتماعيين والفاعلين السياسيين لأن صوت المواطن في بداية تشكل الدولة الديمقراطية حجر الأساس للحاكم الديمقراطي يتم تعيينه عن طريق الاقتراع الذي يؤديه المواطنون في بداية تشكل الدولة الديمقراطية واختيارهم كذلك لمن ينوبهم - الصفة التمثيلية للزعماء - في المجالس البرلمانية والنيابية حتى يتمكن الحكم البرلماني Parliamentary government - من الوصول إلى السلطة دون نسيان الفاعلين الاجتماعيين فهم الأقرب للمواطن في حياته اليومية أكثر من النواب السياسيين فيما بعد، أي بعد نجاح الانتخابات ووصول هؤلاء المرشحين للبرلمان بفضل نيلهم ثقة جميع المواطنين فمع رفعة المنصب السياسي في البرلمان زادت الفجوة بين هؤلاء النواب المنتخبين والمواطنين البسطاء العاديين، ولسد هذه الفجوة هم بحاجة إلى فاعلين اجتماعيين يكونون بمثابة همزة الوصل بين المواطنين والنواب فالشرط الأساسي لهؤلاء النواب المصدقية والأمانة وشعورهم بمدى أهمية الثقة التي منحها إليهم فالشعور بالمسؤولية لدى النواب يولد المصدقية البرلمانية .

¹ - آلان تورين: ما الديمقراطية؟، ص 113.

* - الحكم البرلماني (Parliamentary Government): هو صورة من النظم الديمقراطية الحديثة والتي يحكم فيها البرلمان بواسطة اختيار زعيم الأغلبية كرئيس مجلس الوزراء ينتخب الشعب حزبه ويمنحه ثقته في الانتخابات البرلمانية، إسماعيل عبد الكافي، موسوعة المسيرة للمصطلحات السياسية، ص 183.

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

إنّ الديمقراطية الانتخابية والهيئات التمثيلية لم يكن لها في تلك العمليات الانتخابية إلا خلق المشاكل المعقدة المتسمة بالغش وتغطية الحقائق، فالديمقراطية الانتخابية ليست بالضرورة الضامنة للحرية الفعالة للإعلام وحقوق المواطنين والقضاء المستقل¹.

يصبح الزعماء التمثيليين سلبيين وخطرين ليس على حقوق المواطن فقط بل حتى على السلطة نفسها في حال غياب الشفافية الانتخابية على تزوير الانتخابات وشراء الأصوات وفي هذه الحالة يخرج هؤلاء الزعماء والنواب من دائرة الاختيار أو التمثيل الشرعي الذي تشترطه الديمقراطية والواقع يؤكد ذلك ببعض الدول المنتهجة للنظام الديمقراطي كنظام سياسي وشرعي لقيادة سلطتها تغيب فيها الثقافة الانتخابية فبمجرد وصول رؤساء الأحزاب إلى مقاعد البرلمان تحدث القطيعة بينهم وبين المواطنين.

جاء التحديث الغربي على شكل نموذج على مستوى المصطلحات الاجتماعية حصر بذلك الوظائف التي يشغلها الفاعلون والمؤسسات من أجل ضمان بناء مجتمع وقدرته على التكيف مع التغيرات الضرورية بمعنى أنه يفترض بالقوى السياسية أن تمثل الفاعلين الاجتماعيين وبنوع خاص الطبقات الاجتماعية². أما بالنسبة للشرق فالعائق أمام تحقيق الديمقراطية ليست الثقافة أو الدين أو الإسلام أو المجتمع وإنما الأنظمة نفسها، لأن الديمقراطية هي الشكل المثالي للحكومة على الرغم من مشاكلها ومثال ذلك: فاقت نسبة 90% في الأردن ومصر والمغرب بل هذا الإيمان بالديمقراطية تجاوز الفئات الديمقراطية³.

تم الفصل في الديمقراطية في العالم الشرقي (العالم الإسلامي و العالم العربي) إلى ديمقراطيتين: ديمقراطية إسلامية وهي ديمقراطية ذات المبادئ المطابقة أو القريبة من مبادئ الدين الإسلامي، لأن الدين عنصر مهم في المجتمعات العربية وله دوره في السياسة والدستور أو بعض مواده تستمد من القرآن الكريم باعتباره أحد مصادر التشريع وديمقراطية علمانية وهذه الأخيرة قوبلت بالرفض من طرف البعض⁴.

¹- أريك هوزينباوم: العولمة والديمقراطية والإرهاب ، ترجمة أكرم حمدان ونزهت الطيب، دار العربية ناشرون ش.م.ل، الدوحة، قطر، ط1، 2007م، ص 102.

²- آلان تورين: براديفما جديدة لفهم عالم اليوم، ص 105.

³- لاري دايموند: روح الديمقراطية الكفاح من أجل بناء مجتمعات حرة، ترجمة عبد النور الخرافي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2014 م، ص 425.

⁴- نفسه، ص 436.

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

المبحث الثالث: صور الديمقراطية

الديمقراطية لها خصوصياتها التي تستقطب الأفراد محاولة بذلك السعي إلى تحقيق رغباتهم ومتطلباتهم اليومية وتطلعاتهم السياسية ، وهذه المتطلبات والتطلعات تختلف باختلاف الأفراد، هذا ما يؤدي إلى اختلاف مهام رجال السياسة وهم المنتخبين من قبل هؤلاء الأفراد، لذا يعتمد النظام الديمقراطي على ثلاث سلطات أساسية وهي السلطة التشريعية تمثل البرلمان بغرفتيه الغرفة العليا والغرفة السفلى التنفيذية، تمثل الحاكم والوزراء السلطة القضائية وهي القضاء ، وهذه السلطات الثلاث تمثل صورة الديمقراطية على الترتيب ديمقراطية مباشرة، شبه مباشرة، نيابية (تمثيلية).

1. الصورة الأولى: الديمقراطية المباشرة (Lademocractie directe)

هي التي يتولى فيها الشعب السياسي ممارسة شؤون السلطة بنفسه ويشكل مباشرة دون وساطة أحد فالشعب الذي يسن القوانين والتشريعات وهو الذي ينفذها ويدير المرافق العامة¹.

وهي الصفة الشرعية للديمقراطية والمجسدة الفعلية للتعريف العالم للديمقراطية ممارسة الشعب لنظام الحكم وإدراك الأفراد في الشؤون السياسية، تحويل الأفراد من فرد عادي بسيط إلى مواطن سياسي فعال له القدرة على مشاركة السياسية لدولة الديمقراطية.*

يرى جون جاك روسو (Rousseau Jeon Jaque) أنّ أي نظام لا يتبنى القديم "الديمقراطية المباشرة" لا يُعد نظاماً ديمقراطياً، فالديمقراطية المباشرة تفرض على الشعب أن يشرف على جميع وظائف الدولة الثلاث التشريعية التنفيذية والقضائية².

لكن الاشراف المباشر للشعب على جميع وظائف الدول يؤدي إلى الفوضى والتطرف لا لشيء سوى لأنّ المجتمع الديمقراطي مجتمع مفتوح متنوع يضم العديد من الأجناس والأعراق الشعب المكون للديمقراطية

¹ - نعمان أحمد خطيب: الوجيز في النظم السياسية، ص 242.

*- المشاركة السياسية (PolhicalBrticipation) : هي درجة اهتمام المواطن بالأمور السياسية ووضع القرار السياسي و أبسط صور المشاركة هو تصويت أي ممارسة الحق في إبداء الرأي في الانتخاب كما إن المشاركة واتساعها تقلل صور الضعف في هذه المجتمعات التي تتوسع فيها المشاركة، إسماعيل عبد الفتاح كافي، موسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، ص 398، 399.

² - نعمان أحمد الخطيب : الوجيز في النظم السياسية، ص 234.

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

متفاوت اقتصادياً وثقافياً وفكرياً وسياسياً، وبالتالي اختلاف وجهات النظر بينهم واستحالة الاتفاق في الحكم بمعنى وحدة القضية والموضوع لا يعني وحدة الحكم وهنا تشب الفوضى وتتحول الديمقراطية من نظام حرّ يتمتع بالسلم والأمن إلى نظام فوضوي تقيده آراء وأحكام العامة من الناس.

الديمقراطية المباشرة فيها يمارس الشعب السلطة مباشرة دون وجود من ينوب عنه، وفقاً لتعريف الديمقراطية بأنها حكم الشعب بالشعب وأول ديمقراطية مباشرة محظ¹، وهي الديمقراطية التي شهدتها بلاد اليونان تمارس في الساحات العامة أو وسط مدرجات كبرى تطرح القضايا السياسية ويتم مناقشتها أمام كافة الشعب وهذا ما يعرف بالكثرة السياسية وهي في حد ذاتها مشكلة تحتاج إلى الحل فكيف تكون إحدى الحلول السياسية للمواطنين؟، فهذه الديمقراطية مباشرة تكاد تكون مثالية في هذه الطريقة لا يتسنى الوقت لحل جميع المشاكل كما لا يمكن لجميع الشعب أن يحضر في الوقت نفسه لانشغالهم اليومية والأسوأ من ذلك عدم تفاهمهم على حكم واحد، منهم من يرى عكس ما يرى البعض ومنهم من يحكم بعواطفه وأهواءه وهذا لا يخدم الديمقراطية فمثالية الديمقراطية المباشرة لا يتناسب والواقع السياسي، إلا أنّ هنالك بعض المزايا للديمقراطية المباشرة .

مزايا الديمقراطية المباشرة:

- تجسيد السيادة الشعبية بأرقى صورها مع رفض أي شكل من أشكال الوساطة كتعبير على إرادة الشعب، إمكانية رقي المجتمع بعيداً عن الخلافات الاجتماعية والاقتصادية.
 - الإحساس المباشر والقرار الواقعي العام².
- على الرغم من المزايا المغرية للديمقراطية، إلا أنّها عيوب في حد ذاتها، لأنّ الوساطة تتحول من الإيجاب إلى السلب على حسب الوسيط، والمقصود بها أعضاء البرلمان ونوابه .

¹ - عصام سليمان: مدخل إلى علم السياسة، ص 23.

^{*} - الحل السياسي (Political Solution): هو القضاء على المشاكل قبل تفجرها في نزاع أو صراع دون استخدام القوة العليا عن طريق المفاوضات والاتفاقات والحلول الوسط التي ترضي الأطراف المتنازعة، إسماعيل عبد الفتاح كافي ، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية ، ص 188.

² - نعمان أحمد الخطيب: الوجيز في النظم السياسية، ص 244.

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

نجد آلان تورين يربط الديمقراطية بصورها الثلاث ربط شكلي وليس فعلي فالديمقراطية المباشرة عند آلان تورين لا تكون بعيدا عن دور الدّي يؤديه المجتمع المدني، يقول آلان تورين: "لا تعرف الديمقراطية* بفصل السلطات وإنما بطبيعة الروابط بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي والدولة"¹.

آلان تورين ركز وبشكل كبير عن الجانب الاجتماعي فهو يرى بأنّ الدولة ككيان سياسي لا يمكن لها أن تنجح وتتكون بعيداً عن الجانب الاجتماعي فالمجتمع الدّي يكون على درجة كبيرة من الوعي والرشاد يقفز قفزة نوعية من المجتمع المنظم بطريقة عادية تشبه إلى حد بعيد مجتمعات حيوانية منظمة إلى مجتمع مدني يشغل باله السياسة، ويتطلع إليها محاولا بذلك الوصول إلى المجتمع السياسي، فمع تكامل الروابط وتفعيلها بين المجتمعين المدني والسياسي تتحقق الديمقراطية فالسلطات الثلاث عبارة عن وظائف ومهام تقوم بها كل سلطة لصالح المجتمع المدني والسياسي بهدف نجاح الدولة وديمقراطيتها.

2. الصورة الثانية: الديمقراطية الشبه مباشرة

الديمقراطية شبه مباشرة تمتاز بمشاركة المواطنين الحكم بطريقة غير مباشرة وذلك يكون عبر المشاركة الفعالة والفعلية في عملية اتخاذ لقرار، فالسلطة تلجئ في بعض القضايا إلى اتخاذ القرارات السياسية العامة والكبرى إلى الشعب وهذا الاشتراك يكون عن طريق هيئات انتخابية تنوب عن المواطنين أمام السلطة.

فالممارسات السياسية تكون عبر عدة وسائل أولها الاقتراع وهو الطريقة التي تمكن الفرد من المشاركة في ممارسة السلطة وهي نوعان: مباشرة عبر الاستفتاء الشعبي، وغير مباشرة بواسطة انتخاب هيئة تمارس اعمالها باسم المواطنين².

* - الفصل بين السلطات (Séparations of Power): هو مبدأ من مبادئ الديمقراطية اي ان فصل سلطة من سلطات الدولة استقلالا متميزا و لا تتدخل سلطة في عمل السلطات الاخرى و هو مبدأ سياسي لضمان عدم اعتداء سلطة أخرى، إسماعيل عبد الفتاح كافي ، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، ص44.

¹ - آلان تورين: ما الديمقراطية؟ ، ص 56.

** - الهيئة الانتخابية (Electrorate): هي عبارة عن تجمع الناخبين الذين حق لهم الإدلاء بأصواتهم في الانتخابات والذين لهم القدرة على اختيار ممثليهم بكل حرية، إسماعيل عبد الفتاح الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، ص478.

² - آلان تورين : ما الديمقراطية؟ ، ص 220.

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

يقول آلان تورين: "الديمقراطية هي المنهج القانوني الذي يضمن توافقها على المستوى السياسي"¹. بما أن الديمقراطية تتصف بمنهجية القانون إذن فهي تعمل بصفة قانونية وحقيقية وتنوب عن المواطنين في اتخاذ القرارات السياسية فتكون ديمقراطية شبه مباشرة يمكن للمواطن أن يعتمد فيها ويعتمد عليها ما دامت تنتهج نهج قانوني.

العملية الانتخابية تتحكم في المجلسين التشريعي والبرلماني كما يمكنها أن تتحكم في القرارات الصادرة عن المجلسين إما بالإيجاب أو بالسلب ببساطة الأمر متوقف على حسن الاختيار من عدمه لأن البرلمان في النهاية ما هو إلا كيان سياسي سبب وجوده خدمة المواطنين وتحقيق الديمقراطية بالشكل المرغوب والمطلوب .

السلطة التشريعية هي أهم السلطات في أي نظام ديمقراطي، والتشريع في الديمقراطية الإسلامية يصدر عن الكتاب والسنة وإجماع الأمة أو الاجتهاد والإمامة تمثل السلطة التنفيذية². والديمقراطية الإسلامية أوسع من حيث الحدود والأعراق والأجناس على عكس الديمقراطية الغربية، ولكن الديمقراطية الإسلامية أضعف من حيث العقيدة فكل فرد يعتنق الإسلام يصبح مواطن ينتمي للأمة الإسلامية بغض النظر على تلك الفروق (الجنسية، اللغوية، العرقية، الحدودية)، هنا يمكن للمواطن المسلم أن يشارك في أمور الحكم للخليفة وذلك بمبايعتها إلى المجلس الشوري والأخذ برأي المواطنين، وشرف العقيدة هو الشرط الوحيد الذي بضيق من نطاق الديمقراطية الإسلامية، أما الديمقراطية الغربية فهي الأكثر تضيقاً، فهي تشترط الوحدة الجغرافية العرق والجنس لشعب بعينه وهذا ما فعلته الديمقراطية اليونانية التي تعتبر البذرة الأولى للديمقراطية الغربية، فكل منظر سياسي لا نجده يستغني عن هذه النشأة الأولى (الديمقراطية وبداية ظهورها في الحضارة اليونانية).

¹ - آلان تورين : ما الديمقراطية؟ ، ص 220.

² - محمد ضياء الدين الرئيس: النظريات السياسية الإسلامية، ص 380.

الفصل الثاني الديمقراطية أبعادها وصورها

3. الصورة الثالثة: ديمقراطية نيابية (تمثيلية)

يقول جون ستورت مل (J.S.Mil) في سنة 1820م واصفاً بذلك نظام النيابة: "الاكتشاف الكبير في العصور الحديثة"¹. الديمقراطية بصورتها النيابية بالشكل الحقيقي لها يصنفها ميل ضمن الاكتشافات في العصور الحديثة لا لشيء إلا لأنها سهلت حياة الفرد أو المواطن في الجانب السياسي كما فعلت الاكتشافات العلمية الأخرى، فالفرد ليس بحاجة إلى عملية فقط بل هو كذلك بحاجة إلى اكتشافات سياسية*.

الديمقراطية النيابية (Representative) أصبحت كلمة البرلمان تجسد الديمقراطية النيابية أول ما استعملت في القرن الثالث عشر في إنجلترا للإشارة إلى ذلك التجمع الذي يساهم مع الملك في ممارسة السلطة على الرغم من النشأة الأرستقراطية فهذا لا يعني أنّ بقيت على حالها في النظام الديمقراطي بل أصبحت الحجر الأساس للنظام الديمقراطي².

تظهر المجالس النيابية بشكل انتخابي، كمنتخب من طرف الشعب بمعنى البرلمان النيابي منتخب من طرف المواطنين الأحرار وهو نوعان انتخاب مباشر وانتخاب غير مباشر، فالأول يكون بصفة رسمية ومباشرة يختار فيه المواطنون نواب البرلمان ولكل حزب عدد معين من المقاعد داخل البرلمان، أما الثاني الانتخاب لغير مباشر يكون بتفويض أفراد الحزب الواحد بعضهم على البعض بمعنى تزكية رجل بعينه لينوب على الباقي في أفراد الحزب.

الديمقراطية التمثيلية (النيابية) تتركز على مبدأ الوكالة وتقتضي هذه الأخيرة بأن تفوض الأمة بالانتخاب إلى ممثلين تختارهم لممارسة سيادتها، فالوكالة النيابية وكالة عامة في العمل باسم الأمة بحرية تامة، في جميع

¹ - روبرت أ.دال: عند الديمقراطية، ص 99.

* - السياسة (Politique): فرع من العلم الذي يبحث في أصول الحكم و تنظيم شؤون الدولة أول من عني به من فلاسفة اليونان أفلاطون في كتابه الجمهورية و أرسطو في كتابه السياسة، ينظر إلى إبراهيم مذكور المعجم الفلسفي، ص 99.

2- نعمان أحمد خطيب: الوجيز في النظم السياسية، ص 249.

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

القضايا التي تعرض على النواب أو ممثلي الأمة ومفهوم الوكالة النيابية يعود في أصله إلى السيادة الوطنية ليس كأفراد إلى الكل لا يتجزأ¹.

تتحقق الديمقراطية بضرورة أن تنبع من المواطنين أنفسهم بمعنى أن القرار الأول والأخير يكون للشعب وليس لأصحاب السلطة أنفسهم فقط، لأنهم عبارة عن ممثلين لهؤلاء - الشعب - ليس إلا، لذا عليهم الأخذ برأي الشعب* في الحكم في بعض القضايا والأمور لأن الشعب هو المصدر الأساسي للسلطة، فهذه الأخيرة لا تتأتى في النظام الديمقراطي دون انتخابات شعبية، وهنا تكون النيابية أو التمثيلية لأنه من غير المعقول أن يتوجه عامة الناس أو جميع المواطنين دفعة واحدة نحو مجلس لقضاء أو إلى صاحب السلطة العليا في البلاد، ولذا فهي وجدت بسبب تصويت الشعب واختيارهم لمن ينوب عنهم ووظيفتها السهر على تلبية حاجيات المواطن وإيصال صوته إلى أصحاب السلطة العليا في البلاد.

وللديمقراطية النيابية أدلة على وجودها منها:

وجود برلمان منتخب من الشعب، وممارسة البرلمان للسلطة الفعلية أي الحكم البرلماني في اتخاذ القرار النهائي والتنفيذي، عضوية البرلمان لمدة معينة استقلال البرلمان مدة معينة باستقلاله أثناء مدة نيابية على هيئة الناخبين، البرلمان النيابي لا يقتصر على إبداء الرأي فقط فالنائب في البرلمان يمثل الأمة جمعاء².

تعتبر الحكومة النيابية الأقرب للديمقراطية وهي الأفضل من الناحية العملية لأن السياسة تحتاج إلى المتابعة ورقابة حتى لا تنفلت وتتجه صوب الفساد، والخطأ المشاع في الديمقراطية النيابية يكمن في تأكيد أن نواب الشعب يجب أن يحكموا بالفعل ولكن الحكم ليس بالأمر الهين خصوصا الحكم الديمقراطي فالأمر يتطلب مواطنون أكفاء والمقصود هنا هم النواب المنتخبين من قبل الشعب أي المواطنون الأحرار الذين يختارون من ينوب عنهم عن طريق ما يسمى بمبدأ الاقتراع العام .

¹ - عصام سليمان: مدخل إلى علم السياسة ، ص 241، 242.

* الشعب (People) : جملة الطبقات الاجتماعية التي تساهم في تنمية المجتمع، في الفلسفة المركزية مفهوم الشعب يعكس التغير الحادث في تكوين الاجتماعي للمجتمع ، مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ص 364.

² - عصام سليمان: مدخل إلى علم السياسة ، ص 152.

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

الحكومة النيابية (التمثيلية) هي أقوى الحكومات الثلاثة فهي بمثابة الرقيب لعمل الحكومة، فالديمقراطية الحقيقية هي حكم الكل عن طريق الكل الممثل بصورة متساوية ويتضمن النظام الموجود للديمقراطية الزائفة سوء التمثيل أولئك الذين يعترضون أمن حزب الأغلبية المرشح الذي تم اختياره وعدم التمثيل أولئك الذين يصوتون لصالح الحزب الذي يخسر وهنا يغيب صوت مؤثر وفعال في معارضة الأغلبية في الجماعة النيابية¹.

تأخذ المجالس النيابية دوراً أساسياً ومهماً في الدولة الديمقراطية، بل هي إحدى المبادئ الأساسية لقيام دولة ديمقراطية، وقوانين الانتخاب والمجالس النيابية تختلف بحسب اختلاف دساتير وقوانين كل دولة من الدول أما بالزيادة أو النقصان من حيث المدة المعطاة للمجالس النيابية أو من حيث البرامج أو من حيث النظام أما البرلماني أو الرئاسي باختلاف شروط العملية الانتخابية فيما يخص الأحزاب المترشحة وتوجيهات هذه الأحزاب سواء كانت مع السلطة أو ضدها (الأحزاب المعارضة) ومثلي الأحزاب رؤساء الأحزاب ونوابهم وهذا الأخير من المفترض أن يتم اختياره وفق شروط وضوابط يحددها القانون العام (قانون الدولة) أو القانون الجزئي (الحزب المنتمي إليه هذا المترشح) إلا أنه تتم عملية الاختيار من طرف المواطنين الناخبين.

وهنا إمكانية احتمال وجود نواب أو رؤساء أحزاب وبرلمانيين يفتقدون للحس السياسي الديمقراطي يجهلون المبادئ الأساسية لنظام الحكم الديمقراطي كالمساواة بين الأفراد والحرية، إعطاء الحرية للفرد داخل الجماعة مع إيقان هذا الأخير مدى تكامل الاجتماعي بين الذوات الفردية في جزء من الذوات الاجتماعية، وهذه الاجتماعية المقصود بها توزيع المهام السياسية وتطبيق القانون التكاملي بين المطالبة بالحقوق والشعور بتأدية الواجبات، وتجسيد مبدأ العدالة.

الديمقراطية النيابية منتخبة من طرف الشعب تتولى السلطة باسمه، مع الرجوع إليه في بعض الأمور الهامة الاستشارية واشتراكه في السلطة بطريقة غير مباشرة².

¹ - ليو شتراوس وجوزيف كروسي: تاريخ الفلسفة السياسية من جون لوك إلى هيدغر، ج2، ترجمة محمد سيد أحمد، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، إشراف جابر عصفور، المشروع القومي للترجمة، العدد 810، ط1، 2005م، ص 457.

² - مولود زايد الطيب: علم الاجتماع السياسي، ص 96.

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

ولتجنب مفسدة السلطة من الضروري وجود مجلس نواب بمعنى ديمقراطية نيابية تمثيلية تعمل على مراقبة السلطة والمسك بزمام الأمور، فترك السلطة بدون مراقبة خطر يتهدد بفناء المواطنين وانقيادها نحو مفسدة مطلقة يصبح من الصعب جدًا التحكم في زمام الأمور وتسيير الشؤون السياسية والشؤون العامة التي تخص المواطنين. يقول آلان تورين: "ولكي تكون الديمقراطية تمثيلية ينبغي أن يكون انتخاب الحكام حرًا، ولكن ينبغي أن تكون المصالح الاجتماعية قابلة للتمثيل وأن يكون لها نوع من الأولوية على الامتيازات السياسية"¹.

يشترط آلان تورين في الديمقراطية النيابية أو التمثيلية اشتراكية المصالح بمعنى اتفاق المواطنين حول جملة المصالح أو ما يعرف بالمصلحة العامة التي تخدم أكبر عدد ممكن من المواطنين شرط أن تكون جملة هذه المصالح على قدر كبير من الواقعية وامكانية التحقق على أرض الواقع مع الأخذ بأولوية الخيارات السياسية.

نجد آلان تورين يعطي تعريفًا للديمقراطية أقرب منه إلى التعريف الاجتماعي فهو يبحث عن مجتمع تكون فيه الفاعلية دائمة ومستمرة ومتبادلة بين الذات الفردية فيما بينها وبين الذات والمجتمع وبين المجتمع والسلطة مركزًا في ذلك على قدرة الذات الفردية في كبحها لأهوائها في الوقت الذي تسعى فيه للمحافظة على خصوصيتها وتمسكها بهويتها داخل المجتمع الديمقراطي الرهيب والتنوع والتعدد ومطالبة المواطن بحريته دون المساس بحرية باقي المواطنين لا لشيء سوى أنه أصبح مواطن متحضر له حس سياسي وتحولت ذاته الفردية إلى ذات فعالة تخدم ذاتها وتخدم ذوات الآخرين -الصالح العام- في الوقت ذاته أعطى آلان تورين للديمقراطية ثلاث أبعاد وهي: حقوق الإنسان، المواطنة، الصفة التمثيلية للزعماء. يقول أفلاطون "إن المصالح الحزبية الطائفية هي التي تسود في حكم الديمقراطي ولكن الديمقراطية الحقة لا تعترف بوجود امتيازات لطبقة من الطبقات أو حزب من الأحزاب، فمصلحة أي فرد مثل مصلحة الفرد الآخر"².

¹- آلان تورين: نقد الحداثة، ص 405.

*- المصلحة العامة (Public Interest): هي إحدى أهم وظائف الدولة الحديثة التي تتمثل في حمايتها للمصلحة العامة في الداخل والخارج وأيضًا قيامها بالدور التنموي الحديث الذي يتمثل في قيام الدولة بدور المنظم الاقتصادي، إسماعيل عبد الفتاح كافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، ص 405.

²- علي أدهم: المذاهب السياسية المعاصرة، ص 97.

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

اتخذت سياسية الشعب وحقوق الإنسان في اللحظات التأسيسية بيدوان كوجهين للديمقراطية في البداية ولكن المتتبع لتاريخ الديمقراطية يرى بأنه سوى تاريخ الانفصال التدريجي لمبدأين السلطة الشعبية وحقوق الإنسان وهذا الأخير دافع عن الملكية الخاصة للفرد¹.

تفقد الديمقراطية صفتي السيادة الشعبية وحقوق الإنسان مع مرور الوقت لأن كليهما تبدوا كنيقيض للأخر، أو تبدوان منفصلتين بسبب تعارض بين السيادة الشعبية التي تكون فيها الغلبة للأكثرية وحقوق الإنسان التي تتضمن حقوق الأقليات، فهذه الأخيرة تقريبا دائما تتعارض ورأي الأكثرية.

ينظر للحقوق في الديمقراطية إلى نوعين من الحقوق، حقوق إيجابية وحقوق سلبية فالأولى تسمح لهم بالدفاع عن مصالحهم الخاصة بطريقة تجعلهم يشكلون في نهاية الأمر إدارة سياسية، أما الثانية حقوق ذاتية يمكنها أن تكون فعالة عن طريق الانتخاب وتشكيل البرلمان وتكوين الحكومة². يقول آلان تورين: "الديمقراطية في النظام السياسي الذي يسمح للفاعلين الاجتماعيين أن يتمكنوا وأن يتصرفوا بحرية، وإن المبادئ التي تشكل الديمقراطية هي نفسها التي تقضي وجود الفاعلين الاجتماعيين أنفسهم، لن يوجد فاعلون اجتماعيون إلا إذا توافق الوعي الداخلي بالحقوق الشخصية والجماعية مع الاعتراف بتعدد المصالح والأفكار وخصوصا تعدد الصراعات بين السادة والمسودين"³.

يرى آلان تورين أن الديمقراطية لا وجود لها بعيداً عن الفاعلين الاجتماعيين لأن سبب قيامها هو الدور الفعال للفاعلين الاجتماعيين، فكثرة عدد الأفراد أو المواطنين يؤدي بالضرورة إلى اختلافات بين أفراد المجتمع وأصحاب السلطة وهنا يكمن الدور الإيجابي للفاعلين الاجتماعيين فهم بمثابة الواسطة بين المواطنين.

يقول آلان تورين: "يمكن أخيراً أن نفصل الاعتراف بالحقوق الأساسية عن الديمقراطية"⁴. يقر آلان تورين في نهاية المطاف بعد تحليله المعمق للعلاقة القائمة بين حقوق الإنسان والديمقراطية ولعل سبب هذا الفصل يعود لعدم القدرة على التوفيق بينهما لالشيء سوى لأن الديمقراطية شرطها تصويت الأغلبية

¹ - آلان تورين: نقد الحداثة، ص 418 .

² - خديجة زيتيلي وآخرون: الفلسفة السياسية المعاصرة قضايا وإشكاليات، ص 156.

³ - آلان تورين: نقد الحداثة، ص 419.

⁴ - آلان تورين: ما الديمقراطية؟، ص 49.

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

واتفاق أكبر عدد ممكن من المواطنين حول رئيسهم ومن يدير شؤون البلاد السياسية والاقتصادية والثقافية والتعليمية... إلخ بمعاونة الوزراء، في الوقت الذي تكون فيه حقوق الانسان مستقلة تماما، فكل انسان حقوقه الخاصة به والمميز هنا وجود الأقليات فلا أدري هنا إن كان هذا التمييز إيجابيا أم سلبيا، لأنّ بغض النوع عن الأقليات في بعض الأماكن تحديداً ينظر إليها نظرة استحقار و دناءة وتعامل بطريقة وحشية وهمجية من طرف الغالبية داخل الدولة الديمقراطية نفسها التي تظل رافعة لشارات الحرية واحترام لحقوق الإنسان وقيود الكثرة والتنوع مع المحافظة على الهوية الشخصية كل فرد وقبوله كما هو على الرغم من اختلافه عن الكثرة، وهذا ما نجده في فرنسا نفسها.

إنّ آلان تورين من خلال ما قدمه يتكلم عن بلاده -فرنسا- كدولة ديمقراطية حرّة ومتحضرة تعترف بالآخر وتقبله داخل أوساطها الاجتماعية وأنها دولة القانون لا يضيع فيها أي نوع من الحقوق لأي مواطن كان بغض النظر عن هويته وعرقته ومعتقده ولغته وطائفته، ولكن هذا غير صحيح، فالآن تورين تكلم عن الديمقراطية في فرنسا بذاتية وليس بموضوعية فالمهاجرين العرب والمسلمين عموما والجزائريين خصوصا يتعرضون لانتهاك رهيب في مجال الحقوق الانسانية، وينظر إليهم على أنهم شعب أقل منهم ثقافة ولا يمد للحضارة بأي صلة ولا يزال يجهل معنى السياسة وليس إلا تابع لدولة قد استعمرته في الماضي، خاصة تلك الحقوق ما تعلق منها بالجانب العقائدي فمسألة الدين تحولت إلى إحدى القضايا السياسية المطروحة على طاولة النقاش السياسي ففرنسا الديمقراطية التي يتكلم عنها آلان تورين، بما تفسر رفضها للمحجبات داخل المؤسسات التعليمية والحكومية وحتى الشوارع الفرنسية؟ أليس هذا انتهاك لحقوق الانسان؟

وبعيدا عن إحدى التعاريف المقدمة للديمقراطية على أنّها نظام حكم سياسي يقوم على الاختيار حر للحكام في الوقت الذي تنتج فيه السلطة الحرية للأفراد. أصبحت الديمقراطية إحدى القيم العالمية من خلال الدعوة إليها وحقوق الإنسان فهذه الأخيرة تتجسد بشكل فعلي داخل المجتمعات الديمقراطية وهناك من يزعم أنّ قيم الديمقراطية قيم غربية وليست من التراث الإنساني، لذا فالديمقراطية لا تتأتى ثمارها في دول الجنوب والشرق. أما عن المواطنة يقول آلان تورين: "أن يكون المرء مواطنا هو أن يشعر بمسؤولية عن الأداء

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

الجيد للمؤسسات التي تحترم حقوق الإنسان وتسمح بمشيل الأفكار والمصالح وهو أن كان موجدا في أغلب الأحيان إلا أنه لا يشترط شرطا أساسيا للديمقراطية"¹.

لا يتصف الفرد بصفة المواطنة حسب رأي آلان تورين إلا إذا تولد لديه شعور بالمسؤولية حيال الأداء الفعال للمؤسسات المعتمدة لحقوق الإنسان ساحة بذلك بتجسيد الأفكار ومصالح الأفراد.

يقول آلان تورين: "الحركات الاجتماعية تتشكل فقط في المجتمعات الديمقراطية لأن الاختيار السياسي الحرّ يرغم كل فاعل اجتماعي على السعي وراء النفع المشترك ووراء الدفاع عن المصالح الفردية في الوقت ذاته"². لا تتأتى الفاعلية إلا بالتكامل والتنسيق بين الحركات الاجتماعية التي تعبر هي الأخرى بدورها على آراء ومتطلبات المواطن .

يقول آلان تورين أما أبعاد الديمقراطية هذه: "احترام الحقوق الأساسية والمواطنة واحترام الصفة التمثيلية للزعماء فتكامل وإنّ عروتها الوثقى لتكون الديمقراطية"³. لا يمكن للديمقراطية أن تكون إلا بأبعادها الثلاث السالفة الذكر حسب رأي آلان، إلا أنه أغفل عن أبعاد أخرى للديمقراطية كالبعد الاقتصادي والثقافي، فهي اليوم أصبحت إحدى القيم العالمية العابرة للحدود والقارات فالدول المنتهجة لنظام الديمقراطية كنظام سياسي تنتهج الرأسمالية كنظام اقتصادي فالمواطنون لهم حق الملكية الفردية وهم أحرار فيما يمتلكون.

يعتبر آلان تورين مسألة فصل السلطات الثلاث في النظام الديمقراطي عنصرا أساسياً من عناصر الديمقراطية إلا أنه شكل من أشكال التطرف، يقول آلان تورين: "إنّ للسلطة التشريعية تأثير على السلطة التنفيذية وهذا ما يؤمنه دور الأحزاب بصوة خاصة"⁴. إنّ استقلالية السلطات الثلاث التنفيذية والقضائية والتشريعية يسهل عمل الحكومة فلكل سلطة مهامها التي تقوم بها وكل سلطة تعمل على مراقبة الأخرى، لكي لا يحدث أي تجاوز لأي سلطة من السلطات لما ينص عليه القانون الديمقراطي أي دستور البلاد، فالديمقراطية في تعريفها تتضمن حقوق الإنسانية للإنسان كحقه في أن يكون مواطناً حراً له حق اختيار الزعماء والرؤساء

¹ - آلان تورين: نقد الحداثة، ص 423، 424.

² - آلان تورين: ما الديمقراطية، ص 102، 103.

³ - نفسه، ص 48.

⁴ - نفسه، ص 53، 54 .

الفصل الثاني — الديمقراطية أبعادها وصورها

الذين يناوون عنه في السياسية وتقرير المصير، وقد تم اختيارهم عن طريق العملية الانتخابية فتجلت صور الديمقراطية الثلاثة المباشرة وشبه المباشرة والنيابية، وعلى الغم من كل هذا تبقى الديمقراطية تعاني من أزمة جديدة فتعريفها مثالي لنظام الحكم السياسي يتوق إليه الجميع بين واقع معاش يجنب الكثير من المتناقضات وراء العناوين والشعارات الكبرى للديمقراطية الساطعة في سمائها المنشود .

بناء على مسابق يتضح لي أن الديمقراطية بحسب آلان تورين تفاعل بين الذات الفردية والذوات الاجتماعية وذلك بتبادل الآراء ووجهات النظر وكيفية تقبل الآخر كما هو لأن الديمقراطية في حقيقتها ثقافة بدليل منحها الحرية للفرد على الرغم من وجود جملة القوانين ودرساتير التي تحدد للفرد بالاصطلاح الاجتماعي أو المواطن بالاصطلاح السياسي جملة المهام التي يقوم بها ، فالآن تورين يصبغ الديمقراطية صبغة ثقافية وذلك بطرحه لقضية الهجرة ومدى إيجابيتها على الديمقراطية .

أعطى آلان تورين للديمقراطية ثلاثة أبعاد (احترام الحقوق الأساسية، المواطنة ، الصفة التمثيلية للزعماء) محددًا نوع العلاقة التي تجمع بينهم وهي علاقة تفاعلية تكاملية ، فالفرد لا يبلي البلاء الحسن حيال الدولة إذ ما شعر بأن حقوقه مهضومة أو مسلوب الإرادة فواجب السلطة احترام الحقوق الأساسية للمواطن و إدراجه ضمن الحياة السياسية والمدنية ولا ينظر إليه على أنه مجرد صوت داخل صناديق الاقتراع ، فبمجرد شعور الفرد بأنه مواطن مدني يولد لديه شعور بالمسؤولية حيال الدولة ، وهذا ما يولد لديه الفاعلية الاجتماعية وسياسية .

فالدولة الديمقراطية تعمل على منح الشرعية الحقوقية للمواطن كحقه في العملية الانتخابية، وهذا الحق المدني إحدى أهم الحقوق التي تمنحها السلطة للمواطن في الوقت الذي يكون فيه مصير هذه الدولة في يد أبنائها لكي لا يتحول النظام الديمقراطي إلى دكتاتوري ، أما البعد الثالث الذي تكلم عنه آلان فهو المعبر عن إرادة الشعب ، يختار المواطنون من يمثلهم في البرلمان عن طريق العملية الانتخابية فهؤلاء الفاعلين الاجتماعيين توكل إليهم مهمة التبليغ فهم حلقة وصل بين السلطة والمواطن وهنا تشتط الفاعلية في النواب، فغياب الرقابة حتميته انخيار النظام الديمقراطي وتحوله إلى نظام سلطوي دكتاتوري .

الفصل الثالث

تقييم الديمقراطية

الفصل الثالث

تقييم الديمقراطية

الديمقراطية بمفهومها العام تعني العدالة والمساواة التي هي ذلك النظام السياسي الذي يسعى لتحقيق العدالة بين المواطنين فيما يتعلق بالعدالة الفردية إعطاء كل ذي حق حقه، أو العدالة الاجتماعية ما يحق للفرد يحق للمجموع، وما يحق للمجموع يحق للفرد نفسه لا لشيء سوى لأنه تابع لهذا المجموع وهو إحدى العناصر المركبة له.

أما المساواة في الديمقراطية فهي تمثيل إلى الجانب السياسي أكثر من غيره، وعادة ما تقتصر على العملية الانتخابية ومشاركة المواطنين في اختيار الحكم الديمقراطي بصورة حرة إما مباشرة أو نيابية، وهذا ما جعل الديمقراطية تتأرجح بين كفة العدالة من جهة وكفة المساواة من جهة أخرى حتى وإن كان كل منهما قريب في مفهومه للآخر.

والديمقراطية لها ما يميزها كنظام حكم سياسي عن غيرها من الحكومات والأنظمة السياسية الأخرى باعتبارها تختلف عن غيرها محاولة اجتياز كل الحدود والحواجز نحو العالمية، إلا أن الديمقراطية على الرغم من بريقها الضارب في الأفق إلا أنها مهددة بالضعف والزوال لما تحمله من ثغرات وهفوات قد تغفل عنها، أو تتحول من الإيجاب إلى السلب بعد فقدانها لفعاليتها أمام كثرة مصطلحاتها وتضارب فيما بينها ليس من الناحية الاصطلاحية فقط بل حتى من الناحية العملية خاصة مفهوم العدالة والمساواة، فهل الديمقراطية عدالة أم مساواة؟

وهذا ما سأحاول الإجابة عنه من خلال المباحث الثلاث التالية:

المبحث الأول: الديمقراطية بين العدالة والمساواة.

المبحث الثاني: مميزات الديمقراطية وشروط نجاحها.

المبحث الثالث: أسباب ضعف الديمقراطية .

والغاية من هذا الفصل محاولة وضع الديمقراطية على كفة الميزان

الفصل الثالث ————— تقييم الديمقراطية

المبحث الأول: الديمقراطية بين العدالة والمساواة

عرفت الديمقراطية على أنها نظام حكم سياسي يتسم بالعدالة والمساواة بين الأفراد وتجاوز الطبقة بين المواطنين ليس هنالك فرق في توزيع الممتلكات بين الأفراد أو توزيع الواجبات ومنح الحقوق فأصبحت كل من العدالة والمساواة يتماشيان ومفهوم الديمقراطية.

1- **العدالة:** يربط أفلاطون نظرية العدالة* في السياسة بأنفس الأفراد فهو أقر بأنها صفة نفسية تمكن الناس من نبذ الرغبات غير الرشيدة التي تدفعهم إلى تذوق كل لذة وإشباع الأنا عن كل شيء وبهذا تنهياً الأنفس لخدمة الصالح العام، وبهذا تصبح الدولة كالجسم الواحد لكل عضو وظيفة يؤديها.¹

ربطت نظرية العدالة عند اليونان بالجانب النفسي والروحي فكل فرد يتمتع بالعدالة النفسية الداخلية يصبح فرد سوي متشبع الأنا ومتفرغ لخدمة الأخر تكون نفسه طيبة وخيرة تعمل على خدمة الآخرين وهذا ما يحقق العدالة العامة ويتوسع نطاق العدالة من الأنا الفردية إلى الذات الجماعية أو ما يُصطلح عليه بالصالح العام وهي فكرة العدالة الاجتماعية بمعنى الامتثال للواجب الاجتماعي .

فكرة العدالة الاجتماعية التي تتضمن أنّ يشغل كل إنسان مجاله المعين خضوعاً للواجب الاجتماعي الملزم إلزاماً مطلقاً، وهذه العدالة الاجتماعية قاعدة أساسية لفكرة الواجب العام². مع استقرار الديمقراطية يزيد الإحساس بالعدالة لدى المواطنين والتصرف وفق مبادئها، فمعقولية المصالح تتوافق مع المساواة والعدالة التي يمكن لها أن تجعل السلام الديمقراطي ممكناً³.

يُعلق المواطنون أملاً كبيراً على مبدأ العدالة وهي إحدى الأسباب الرئيسية التي تزيد من رغبة الأفراد في النظام الديمقراطي، فالعدالة تعيد لكل فرد قيمته كإنسان أمام غيره من بني جنسه وتعطيه جميع حقوقه بصفة

*العدالة (Justice): الاعتدال والاستقامة والميل إلى الحق وعند أفلاطون هي ناتج العقل المنسق القوي لقوى النفس الثلاث العاقلة و الغضبية و الشهوانية ، مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ص 411.

¹ - أرنست باركر: النظرية السياسية عند اليونان، ص 259.

² - نفسه، ص 305.

³ - جون راولز: قانون الشعوب وعود إلى فكرة العقل العام، ترجمة محمد خليل، إشراف جابر عصفور، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، العدد 1074، القاهرة، ط 1، 2007م، ص 63.

الفصل الثالث ————— تقييم الديمقراطية

شرعية وقانونية دون هضم حقوقه وانصهاره في المجموع فلكل فرد جملة من الحقوق يمنحها له القانون بشقيه السماوي (الديني) الوضعي (المدني).

إنّ مبدأ العدالة يأخذ حصة الأسد في الفكر السياسي الإسلامي لأنه فرض عين بنصوص قرآنية وأحاديث نبوية شريفة، فالفكر السياسي الإسلامي يهدف لإقامة دولة إسلامية ديمقراطية تعطي الفرد حريته الفردية وتعمل على تفعيله داخل مجتمعه وفي هذا التوزيع للحرية نلمس العدالة. يقول تعالى: "يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يُجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"¹.

إنّ السياسة تقصر العدالة على الإنصاف هي سياسة معهودة بالمحافظة وبالقبول السلمي لعلاقات السلطة، ما لم تتولى بث النشاط فيها روح التحرير، أي تلك التي وجدت في الولايات المتحدة (NewDeal) عن طريق الفعل النقابي جيل ثاني بإحياء الكفاح من أجل الحقوق المدنية².

العدالة صيغة كمفهوم ديمقراطي ينظر للمجتمع الديمقراطي على أنه مجتمع يسوده التعاون بين مواطنيه لكونهم متساوين وأحرار لأن السلطة السياسية في النظام الديمقراطي تعتبر سلطة مواطنين أحرار ومتساوين باعتبارهم كيانا جماعيا، والعدالة الحققة هي عدالة المبادئ والقيم القادرة على حل المسائل التشريعية³.

فالمواطن ليس أداة تستخدم السلطة لأجل مصالحها فقط بل هو كيان بشري بمجرد شعور المواطن بقيمته الإنسانية محفوظة يبلي البلاء الحسن .

¹ - القرآن الكريم: سورة المائدة، الآية 08.

² - آلان تورين: ما الديمقراطية؟، ص 226.

³ - جون رولز: العدالة كإنصاف، ص 543، 546.

الفصل الثالث — تقييم الديمقراطية

بما أنّ جميع المواطنين يشتركون في دولة واحدة يتمتعون بالحرية ذاتها كحق لهم جميعاً نفس الحقوق والعدالة الحقّة هي العدالة التي تعمل على التوزيع المتساوي بين المواطنين أو ما يعرف بالعدالة التوزيعية* خاصة ما تعلق منها بالمسائل التشريعية.

فالعدالة تنشأ عندما تجتمع الكثرة من الناس الذين يحبون حياة مشتركة وهي تتضح أول ما تتضح في الطريقة التي يحكم بعضهم بعضاً حكماً متبادلاً كلما تجلّت العدالة في الدستور أصبحت لغة الدولة، فيتضاءل الأفراد من حيث نواياهم ومقاصدهم الذاتية في الوقت ذاته يزداد الاتصال بكل فرد كما يسهم به في الحياة الجماعية، فالعدالة لا تتصل إلا بالإنسان السياسي أي المواطن¹.

اعتبر جون رولز* Jon Rawls العدالة الفضيلة الأولى التي يمكن أنّ تُوصف بها المؤسسات الاجتماعية فالعدل أساس الهيكل الاجتماعي، ومن ثمة أصبح من الضروري أن تتصف التشريعات السياسية بمبادئ وخصائص العدل وإقامة مجتمع عادل وتساوي في توزيع الحقوق والقوانين لضمان أكبر قدر ممكن من الرفاهية للمواطنين فهذا الخير الاجتماعي الأقصى².

وهذا أيضاً ما ذهب إليه آلان تورين فهو يبحث عن الديمقراطية تتسم مؤسساتها الاجتماعية والحكومية بالعدالة، فإن غاية العدالة عن المؤسسات الاجتماعية تصبح مؤسسات شكلية مجرد هياكل وتفقد فاعليتها وإلى جانب حلول هذه المؤسسات من روح الفضيلة لتتحول إلى مجرد أبنية فاقدة لروح العدالة والإنصاف تضع فيها حقوق المواطنين إلى جانب فقدانها ليس فقط لفعاليتها بل إلى ثقة المواطنين أيضاً

* العدالة التوزيعية (Justice Communitative): ترجع إلى الدولة عندما تتولى قسمة الأموال بين المواطنين وهي مترادفة المساواة و من هنا كانت المساواة أمام القانون من الحقوق الأساسية في المجتمعات المتعددة و ذلك نابع من معنى العدالة التوزيعية، مراد هوبه، المعجم الفلسفي، ص112.

¹ - ريمون بولان: الأخلاق والساسة، ص 312، 319.

* - جون راولز (John Rawls): ولد سنة 1921م في امريلانا الأمريكية عمل كمدرس جامعي له العديد من المؤلفات منها الليبرالية السياسية 1993م قانون الشعوب 1999م، كان نشاطه السياسي علني يدعو إلى العصيان المدني الذي أطلق عليه صفة المفكر اليساري وهو من يؤدي الحرية والعدالة، ينظر إلى، موسوعة الأبحاث الفلسفية، لمجموعة من الأكاديميين، الفلسفة الغربية المعاصرة، ج 2، 1211، 1212.

² - أنطوني دي كرسينيو كينشمينوج: أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة، ترجمة ودراسة نصار عبد الله، مهرجان القراءة للجميع 96، مكتبة الأسرة، المشرف العام سمير سرحان، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1996م، ص 137، 138.

الفصل الثالث - تقييم الديمقراطية

(2) - المساواة: المجتمع نظام منصف من التعاون الاجتماعي عبر الزمن ينظر إلى المواطنين على أنهم متعاونون لإنتاج مصادر الثروة الاجتماعية التي يطالبون بها وفي مجتمع حسن التنظيم الذي تتأمن فيه الحريات الأساسية والمتساوية لجميع المواطنين¹، الديمقراطية تتميز بنظامها الاجتماعي، فهو مجتمع متلاحم ومترابط على الرغم من الحرية الممنوحة له فهذا لا يعني أنه مجتمع مفكك الأطراف بل أفراد متعاونون في عملية إنتاج مصادر الثروة الاجتماعية ففي هذا عدل وتساوي لجميع المواطنين تساوي في العمل وتساوي في نتائج هذا العمل.

وحسب رأي آلان تورين المجتمع مركب تركيبية طائفية متنوعة لا يمكن أن نجد مجتمع من المجتمعات له أصل واحد وأفراده أبناء أبّ واحد فالظروف الحياتية تفرض نفسها على الفرد ليضطر إلى فعل العديد من الأفعال والأمور رغما عن إرادته، لذا يحاول الفرد التمسك بحريته مطالبا بحقه في المساواة مع غيره من المواطنين.

يكتسب المجتمع الديمقراطي دستورا عادلاً بدرجة معقولة فالمجتمع الذي يجمع بين قيمتين أساسيتين هما الحرية والمساواة، يعبر عنهما بثلاث مبادئ مميزة وهي: الحقوق الأساسية الحريات والحرص على ضمان الوسائل لكل الأغراض فهي تمكن جميع المواطنين من أن يستخدموا حرياتهم استخداما ذكيا وفعالاً². لأنه لا يمكن للسياسة أن تقوم إلا على مبدأ المساواة وتكون هذه المساواة بين المواطنين في الدولة الديمقراطية قائمة على التكافؤ بين هؤلاء المواطنين وقبول أفراد الدولة بأن يتولوا أحكامها بالتناوب³.

تقوم السياسة الديمقراطية على مبدأ التناوب بهدف إعطاء كل مواطن حقه وتهيئ أكبر قدر ممكن من الفرص وتكافئها والمقصود هنا هي المجالس النيابية والبرلمانية حتى تنهياً الفرصة للمواطنين الأكفاء برئاسة المناصب العليا في السياسة بترشحهم للانتخابات، هذه الرئاسة تكون لفترة زمنية محددة وليست مطلقة لأن قانون الشعوب قائم على درجة عالية من المعقولية بما أن المواطنون أحراراً ومتساوين في الحقوق السياسية يحق لكل مواطن الترشح في الانتخابات وفق ما يسمح به القانون مع مراعاة شروط الترشح.

¹ - جون رولز: العدالة كإنصاف، ص 160.

² - جون رولز: قانون الشعوب ودعوة إلى فكرة العقل العام، ص 67، 68.

³ - أرسطو: السياسات، نقله من الأصل اليوناني إلى العربية الأب أوغسطين بربارة البولسي، اللجنة الدولية للترجمة للإنسانية، بيروت، د ط، 1957م، ص 132.

الفصل الثالث — تقييم الديمقراطية

جاء الإسلام منادي بمبدأ المساواة فهو يشمل جميع أنواع المساواة أمام القانون والقضاء، المساواة في الحقوق والواجبات، كما يتناول المساواة بين الجميع، لكن المساواة بين الأفراد لا تعني المساواة المطلقة والمجردة وإنما يقصد بها المساواة في إعطاء الفرص وتنظيمها.¹ يعمل القانون في المجتمع المدني على التساوي بين جميع الأفراد في الحقوق مع الآخرين فالمساواة المدنية تعني خضوع المجموع لنفس القوانين ولا يمكن لأي فرد أن يتهرب من أحكام القانون ونصوصه وهو المنظم للحياة المشتركة بين الأفراد.²

جعل أفلاطون الأحرار متساوين أمام قانون المدينة ويستثني الغرباء والعبيد وبقي هذا الفهم اليوناني العقلي قائماً في الغرب إلى قبيل الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر، فالمساواة دعوة فطرية قديمة، ولكن التساوي المطلق يعارض الفطرة أيضاً، كما أنه يناقض السنة الكونية التي خلق الله عليها الخلق، فلا بد من تباين ولو يسير فغلب التساوي في الفطرة والخلق على التساوي في الأحكام.³

إنّ اختلاف الواقع وتخبط الناس بين المساواة وعدم المساواة، حيثما حلت المساواة تحل لا مساواة وهذا ما يحط المواطن في حيرة من أمره وثبوت المبدأ —المساواة— وتغير الزمان والمكان يغير من المبدأ رغم حالة ثبوته من المفترض أن تحافظ المساواة على تعريفها الصوري لتنتقل إلى الممارسة الفعلية بمعنى مطابقة الواقع للتعريف الصوري للمساواة. يقول آلان تورين: " تُحرز الديمقراطية تقدماً بفعل إرادة المساواة أكثر من الرغبة في الحرية"⁴. يولي آلان أهمية كبيرة للتلاحم الاجتماعي وجعله في المرتبة الأولى وإعطائه الأسبقية على المضمون السياسي بغية تحقيق المساواة بين أفراد المجتمع وزوال الطبقية كل الناس سواسية متساوين أمام القانون في المطالبة بالحقوق وأدائهم للواجب فيما بينهم أي تكامل الوظائف الاجتماعية وبالتالي تتحقق المساواة على المستوى السياسي بعد أن تتحقق على المستوى الاجتماعي وهذه الأخيرة هي الغاية المنشودة للديمقراطية الحققة.

¹ - نعمان أحمد الخطيب: الوجيز في النظم السياسية، ص 161، 162.

² - جون لوك: الحكومة المدنية وصلتها بنظرية العقد الاجتماعي لجان جاك روسو، ترجمة محمود شوقي الكيال، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، الصادر عن مجموعة اخترانا لك نصف شهرية، الدار القومية للطباعة والنشر، دط، دت، ص 81.

³ - عبد العزيز مرزوق الطريفي: العقلية الليبرالية، ص 216، 215، 217.

⁴ - آلان تورين: ما الديمقراطية؟، ص 50.

الفصل الثالث ————— تقييم الديمقراطية

إن جملة التغييرات الاجتماعية وارتفاع نسبة التعليم وتحسين مستوى المعيشة ويصبح تفكير الناس علمياوهنا يكون المجتمع على قدر أكبر من المساواة من ناحيتين الأولى زيادة في الثروة والثانية المزيد من الاعتراف بمركزهم وهذا ما يستدعي المطالبة بالمزيد من الحكومات الديمقراطية تعاملهم معاملة الراشدين لا معاملة الأطفال¹.

لفهم المساواة السياسية بين المواطنين في دولة ديمقراطية، نحتاج أن نعرف أنه عندما نتحدث عن المساواة في بعض الأوقات فهذا لا يعني تعبير عن حكم حقيقي يشترط في حكومة المساواة بين الأشخاص في النفع والمصالح لكل شخص على حدا لأن المساواة ذاتها واضحة وتمثل نظرة إنسانية عن قيمة الإنسان فهي مبدأ معقول تؤسس عليه الحكومة الديمقراطية².

يعامل المواطنون في الديمقراطية معاملة متساوية سياسيا بمشاركتهم في الحكم، فالمساواة واضحة في ذاتها لا تحتاج إلى تبرير، وورد في الإعلان الأمريكي للاستقلال لعام 1776م "أنا نقرر أن هذه الحقائق واضحة في ذاتها، إن جميع الرجال قد خلقوا متساوين وأن خالقهم قد منحهم حقوقا معينة غير قابلة للتحويل من بينها الحياة والحرية والسعي وراء السعادة"³.

يرى توكفيل بأن الديمقراطية الأمريكية أقرب إلى المساواة من الديمقراطية الفرنسية وربما هذا ما جعل توكفيل يقوم برحلته الشهيرة إلى الولايات بحثا عن ديمقراطية فعلية تتوافق بين المفهوم والواقع السياسي والاجتماعي، لكنه سرعان ما أدرك أن المساواة في الدولة الديمقراطية ناقصة لاحتوائها الدائم على الطبقة الاجتماعية.

خلص توكفيل في عام 1830م إلى المقارنة بين المساواة في فرنسا والمساواة في الولايات المتحدة الأمريكية تلك الدرجة العالية من المساواة الاجتماعية بين مواطني الدولة⁴. سار آلان تورين على نهج ألكسي دو توكفيل في مجال السياسة وفكرة المساواة في الديمقراطية، لا تتأتى هذه الأخيرة على المستوى السياسي إلا بالمساواة

¹ - فرانسيس فوكو ياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص 14.

² - روبرت أ. دال: عن الديمقراطية، ص 63، 64.

³ - نفسه، ص 32.

⁴ - نفسه، ص 62.

الفصل الثالث — تقييم الديمقراطية

الاجتماعية وجعل أفراد المجتمع في كفة واحدة وعلى قدر واحد من المساواة، إحساس الأفراد بتساوي فيما بينهم داخل المنظومة الاجتماعية لأن المجتمع الديمقراطي يتمتع بتنوع اجتماعي رهيب سواء كان من حيث الأعراف والأجناس أو من حيث الثقافة معطيا لكل فرد حريته الفردية في حدود ما يسمح به القانون فهذه الحرية تقتضي وجود مساواة لتكون بمثابة الرقيب المشرف للأفراد، لأن الأفراد بطبيعتهم الإنسانية ينزاحون نحو حبّ الذات في الوقت الذي لا يستطيع فيه الفرد الواحد أن يعيش بعيدا عن غيره من بني جنسه لذا فهو في أمس الحاجة لمجموع وهنا يكمن عمل المساواة في الديمقراطية في كيفية توفيقها بين حرية الفرد وحرية المجموع.

يقول جورج بيردو: " إذا كانت الديمقراطية لا تقوم من دون الحرية فهي لا تقوم كذلك من دون مساواة"¹. المساواة السياسية في قيام الديمقراطية حق الانتخاب لكل مواطن بلغ سن الرشد، لا فرق بين المواطنين لأن أساس الديمقراطية المساواة، لذا ضرورة تساوي بين المواطنين في العملية الانتخابية فالانتخاب ليس حكراً على المثقفين دون محدودي الثقافة أو المتعلمين دون الجاهلین أو الرجال دون النساء.

المساواة السياسية كشيء مرغوب فيه، يستوجب أن يكون لكل مواطن فرصة متساوية وفعالة للتصويت، مع التساوي بين جميع الأصوات وتطبيق مبدأ المساواة في عملية التصويت حتى تكسب صفة الشرعية وتكون الانتخابات حرة وعادلة لأنها قائمة على مقاييس مضبوطة وفق ما يحدده نظام الحكم الديمقراطي.² على الرغم من كل هذه التحليلات التي قدمها آلان تورين ومنظري السياسة الديمقراطية حيال مبدأي العدالة والمساواة ومدى شرعيتهما وفاعلية كل منهما، إلا أنّ الواقع يختلف كثيرا عن التنظير الفلسفي والسياسي حتى الدول التي تنتهج النظام الديمقراطي كنهج سياسي تعاني من عدم المساواة داخل المجتمع الواحد وربما حتى داخل الأسرة الواحدة تغيب المساواة والعدالة سواء على المستوى الاجتماعي أو السياسي فبعض الأقليات المضطهدة تعاني من عدم المساواة وغياب حقوقها المدنية والسياسية كالمشاركة في العملية الانتخابية والاعتراف بهم كمواطنين مدنيين وفاعلين اجتماعيين، تم إقصاء الفئة السنوية في بعض الدول الديمقراطية من

*-الثقافة (Culture): انطلق بعض المفكرين الانجليز في المسائل السياسية والدينية لينظروا للثقافة من زاوية تطبيقاتها العملية فعرفها ميتو أرنولد
الثقافة بأنها عملية تراق نحو الكمال الإنساني وتمثل أفضل الأفكار التي عرفها العالم، نقلا عن الموسوعة العربية مختارات اجتماع الفلسفة -عقائد
ج2،ص259.

¹ - إمام عبد الفتاح إمام: الطاغية دراسة فلسفية لصور من الاستيراد السياسي، ص 211.

² - روبرت. أ. دال: عن الديمقراطية، ص 90.

الفصل الثالث — تقييم الديمقراطية

العملية الانتخابية وفي هذا دور لإقصائي للفتنة السنوية وعدم مساواة بين الجنسين وغياب العدالة داخل الدول الديمقراطية نفسها لتتحول هذه الأقليات العرقية إلى الأقليات القومية* تحاول في كل مرة الإبقاء على ذاتها، فهي تبحث على الدوام عن الطرق والأساليب التي تبقى على وجود كيانها بصفة دائمة وشرعية، فهي تسعى إلى المحافظة على خصوصياتها القومية مفخرتها بذلك، لكن هذه الأقليات القومية قلا متقابل بالاحترام ففي أغلب الأحيان تقابل بالاضطهاد والعنف مثلما هو الأمر مع الأقلية المسلمة في بورما وما تتلقاه من دّل وهوان من طرف البوذيين، وسبب ذلك غياب ثقافة تقبل الآخر لدى الشعب البوذي، لأن الديمقراطية ثقافة أكثر منها سياسة لذا أصبحت الديمقراطية إحدى القيم العالمية اليوم بسبب تنوعها وتعدد مجالاتها وترامي أطرافها فهي لا تركز على السياسة ونظام الحكم فقط بل تتعدى ذلك إلى مجالات أخرى منها الاقتصاد التربية والتعليم لتتحول إلى ثقافة عالمية تحت شعار حرية الفرد، فالديمقراطية اليوم تركز على الجانب لقيمي للفرد وكيفية إعدادة بطريقة حضارية وعصرية تتماشى والتطورات العالمية في جميع الأصعدة وإكسابه ثقافة واسعة ومتنوعة مع الحفاظ على هويته الثقافية خاصته، بمعنى الاندماج الثقافي وليس الانصهار في ثقافة الآخر .

*-الأقليات القومية (NationalNinorities):هي مجموعات عرقية تختلف عن الأغلبية في المجتمع ولكنها تنخرط في القوى السياسية المركبة التي تعمل على المستوى، ينظر إلى إسماعيل عبدكافي، موسوعة المصطلحات السياسية، ص 51 .

الفصل الثالث ————— تقييم الديمقراطية

المبحث الثاني: مميزات الديمقراطية وشروط نجاحها

الشرط الأساسي لنجاح عملية الديمقراطية هو نماذج اجتماعية التي تتجلى فيها خصائص معينة وجوب أنّ تكون المادة البشرية الفعالة احص الأفراد الذين يعملون في أجهزة الحزب والمنتخبين للبرلمان وأعضاء مجلس الوزراء من نوعية عالية كافية، فكفاية المادة البشرية ذات أهمية خاصة لنجاح الحكومة الديمقراطية¹.

تتميز الديمقراطية بكثرة الجماهيرية و الشعبية ساد في القرن العشرين أن الديمقراطية هي المثل الأعلى للحكم وأنها هدف الإنسانية المقصود ومثالية الأمم المتحضرة². تتميز الديمقراطية ولمع نجمها منذ أوائل القرن العشرين بزيادة مؤيديها وانتشارها الواسع ليس في الدول الأوروبية الكبرى أو الولايات المتحدة الأمريكية بل حتى دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في النصف الثاني من نفس القرن وكذلك انتشرت الديمقراطية في أمريكا اللاتينية الأرجنتين، فنزويلا و غيرها من الدول المؤيدة للديمقراطية.

وعلى الديمقراطية أن تكون حرة مستقلة بعيدة كل البعد عن السيطرة الأجنبية لأنه لا يمكن للديمقراطية أن تنجح في حالة تبعيتها لإحدى الدول العظمى والأكثر قوة منها فنجاحها ينبع من حريتها الداخلية في اتخاذها للقرارات المصيرية التي تخص الدولة عينها وتخص أفرادها، فالأفراد أحرار داخل الدولة ديمقراطية شكليا فقط وفي حقيقتها تابعة لدولة أخرى فكيف لها أن تؤمن حرية لأفرادها ما لم تكن تتمتع هي ذاتها بالحرية؟

ومن شروط نجاح الديمقراطية تفعيل الهيئات الديمقراطية أنّ تكون تقدير وتدعيم على البرلمانات أنّ تنشأ مندجة وفعالة وذلك بإعادة تصميم الأنظمة الانتخابية والمؤسسات السياسية وترميم الدساتير وإسقاط مركزية السلطة وتدبير الانقسامات الوثنية والدينية وخلق حوافز من أجل التعايش وهناك العديد من الديمقراطيات الجديدة التي تحرز تقدما على هذا الصعيد.³

¹ - جوزيف أ. شومبيتر: الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية، ص 547، 548.

² - علي أدهم: المذاهب السياسية المعاصرة، ص 33

³ - لاري دايموند: روح الديمقراطية من أجل بناء مجتمعات حرة، ص 457.

الفصل الثالث — تقييم الديمقراطية

يقول آلان تورين: "يكون هناك صراع اجتماعي في إطار أهداف ثقافية مشتركة بين الخصوم هذا هو الشرط الأساسي للديمقراطية إذ حرية اختيار الحكم والتي لا غنى عنها لا تكفي لتكوين الديمقراطية".¹ يرى آلان تورين الصراع الاجتماعي إحدى الدوافع المحركة للديمقراطية ليس من أجل الصراع والاختلاف فقط، ولكن بأهداف ثقافية يشترك فيها أفراد المجموع، فالديمقراطية كوكبة من الثقافات وليست ثقافة واحدة تقوم عليها الديمقراطية.

ويعتبر المستوى الثقافي كإحدى مميزات الديمقراطية فيرفع هذا المستوى لدى أفراد والشعب وذلك بتوفير التعليم الصحيح البناء لدى كافة أفراد الشعب دون تكليف وهذا ما يصطلح عليه بمجانبة التعليم تعميق الاعتقاد بمبادئ الديمقراطية كاحترام وتقدير كل كائن بشري مهما كانت طاقاته ومؤهلاته مع القدرة على التعامل معه في كل الظروف.²

لذا يقول آلان تورين: "أن قوى التحرر الثقافي حتى وإن كانت هشة في مجملها يمكن أن تشير إلى الشروط الحالية لتحقيق الديمقراطية في البلاد البعيدة عن نموذج متجانس في التنمية"،³ يرى تورين بأن المستوى الثقافي يمكن أن يكون إحدى أسباب نجاح الديمقراطية حتى وإن كان هش لأن الثقافة اليوم لم تعد محدودة ومحصورة ضمن نمط ثقافي معين لمكان جغرافي معين بل الثقافة اليوم اجتاحت جل تلك الحدود الكلاسيكية بحثا عن العالمية لم تعد تلك الحدود الجغرافية أو العرقية حاجز أمام العالمية مع اكتساب المواطن ثقافة تكنولوجية، وهي ثقافة العيش المعاصرة أصبح أكثر وعيًا وأكثر ثقافة له قابلية العيش مع الآخر .

فالديمقراطية اليوم إلى جانب مفهومها السياسي أخذت مفهوم ثقافي على المستوى الحكومي والبرلماني وثقافية داخل الأسوار الاجتماعية بين المواطنين أنفسهم وبين الدولة ككيان سياسي ومواطنيها على تعدد ثقافتهم ، فالديمقراطية اليوم تحتاج نواب مختلفي الثقافة عن الغالبية من النواب أنفسهم .

¹ - آلان تورين: نقد الحداثة، ص 436.

² - نعمان أحمد الخطيب: الوجيز في النظم السياسية، ص 239، 240.

³ - آلان تورين: نقد الحداثة، ص 440.

الفصل الثالث - تقييم الديمقراطية

ومن بين شروط نجاح الديمقراطية زيادة مؤسساتها الأكثر وحدة وقوة التي تربط المواطنين ليس فقط بعضهم بعضا، ولكن تربطهم أيضا بالعملية السياسية والمقصود هنا الأحزاب السياسية والبرلمانات والحكومة المحلية وفي كل الديمقراطيات توجد هذه المؤسسات بطبيعتها بشكل رسمي¹.

فالديمقراطية لا يمكن لها أن تكون على مقربة من مواطنيها بزيادة في عدد مؤسساتها وتنوع في هذه المؤسسات بحسب طلب المواطنين ووفق مستحقاتهم ومقتضياتهم اليومية لتقوية الروابط الاجتماعية للمواطنين فيما بينهم من جهة وتقوية علاقتهم بالعملية السياسية وهيئاتها الحزبية والبرلمانية بشكل رسمي وقانون لتكون هذه العلاقات أكثر قوة من ذي قبل.

فالتوازن السياسي فهو ضمان الحرية فالتوازن بين قوى وتيارات سياسية متنوعة يحول دون هيمنة قوة أو تيار سياسي واحد، ويقف حاجزا منيعا بوجه التسلط واغتصاب حقوق وحرريات المواطنين، فالتوازن السياسي هو شرط من شروط نشوء الديمقراطية ونموها وضرورة استمرارها².

يقول آلان تورين: "تكمن القوة الرئيسية للديمقراطية في عزم المواطنين على التصرف بشكل مسؤول ضمن الحياة العامة وتصوغ روح الديمقراطية وعيا جماعيا بينما تقوم الأنظمة المتسلطة على تماشي كل فرد بقائد أو رمز أو كائن اجتماعي مشترك أو بالأمة على نحو خاص"³. آلان يرى بأن الديمقراطية قوتها الرئيسية حيال الحياة العامة، إلا أن هذا الوعي لا يكفي لا لشيء سوى لأن المواطنين عبارة عن تابعين لكيان الدولة، ليس من الضروري أن يقابل كل فعل واعي ومسؤول من طرف أحد المواطنين بالقبول فبعض الأفعال تقابل بالرفض على الرغم من أنها على قدر عال من المسؤولية والوعي داخل الدولة الديمقراطية نفسها لسبب بسيط هو أن الدولة الديمقراطية تأخذ برأي الأغلبية وليس الأقلية.

*- الأحزاب السياسية (Parties): هي للتنظيمات السياسية التي يكون هدفها الوصول إلى مقاليد الحكم عبر صناديق الانتخاب ولها برامج سياسية معينة ومعروفة، نقلا عن إسماعيل عبد الفتاح كافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، ص24.

¹- لاري دايموند: روح الديمقراطية الكفاح من أجل بناء مجتمعات حرة، ص456.

²- عصام سليمان: مدخل إلى علم السياسة، ص256.

³- آلان تورين: ما الديمقراطية؟، ص127.

الفصل الثالث - تقييم الديمقراطية

وحتى تضمن الديمقراطية نجاحها وتطبق بشكل فعال تقتضي وجود إلزامية عامة أكبر لبناء الدولة عما في ذلك تحسین المهارات التقنية والموارد والمعايير المهيمنة والتماسك والنجاحة التنظيمية للدولة، وهذا ما يمكنها من الحفاظ على الأمن و ترسيخ السلطة و بسط القانون فالصفة المثالية للديمقراطية لا تتأثر إلا في دولة تقوم بجل الوظائف الموكلة إليها إلا بدرجة عالية من السلطة والقدرة الفاعلية.¹

يقول آلان تورين: "من المستحيل أن يعيش نظام ديمقراطي في مكان يسود فيه الواحد سواء كان عبارة عن وحدة دين للدولة أو وحدة سلطة مطلقة أو وحدة ثقافة تتحدد بتعارضها مع الثقافات الأخرى، إن المجتمع يحدد نفسه قبل كل شيء بهويته وبأحاديته لا يمكن أن يكون مجتمعا ديمقراطيا".²

من خصوصيات المجتمع الديمقراطي الكثرة والتنوع بشتى أنواعه فالمجتمع الديمقراطي لا يقبل إلا بمجتمع تتعدد فيه الديانات لأنه من المستحيل أن نجد دولة بأكملها يعتقد أفرادها معتقد ديني واحد حتى وإن كانوا من أصل واحد- إلا أن هذا الاحتمال أيضا مستحيل- إلا ونجد البعض ولو بصفة قليلة ونادرة له معتقد ديني يخالف لمعتقد الذي يعتقد الأغلبية من الأفراد، إضافة إلى وجود لاجئين من بلدان أخرى على اعتقاد ديني يخالف الدولة اللجوء إليها وهذه إحدى الخصوصيات والحريات التي يتوجب على الدولة الديمقراطية احترامها وتتعدد فيه الثقافات والعرقيات، كل له ثقافته وله أصله الذي ينتمي إليه ولا مجال للقومية داخل الدولة الديمقراطية فهي مرفوضة لا لشيء سوى لأنها تحدث العديد من المشاكل منها اللامساواة، غياب التواصل بين القوميات المختلفة وعدم تقبل الآخر من القومية المعادية لقومية الأكثرية وغيرها من المشاكل الناتجة عن هذه القومية.

كما نجد أيضا من بين مميزات وشروط نجاح الديمقراطية لجان تسمى بلجان الرقابة البرلمانية مهمتها محاولة القضاء على الفساد وضمان حكومة نقية وجيدة، فهي تقوم بدور الرقابة بشكل فعال ومن إصدار تشريعات في مجالات خاصة تهتم سياسة الحكومة، كما يمكن لأي لجنة برلمانية أن تقوم بدور الرقابة وتحقق في

¹ - لاري ديموند: روح الديمقراطية الكفاح من أجل بناء مجتمعات حرة، ص 458.

² - آلان تورين: نقد الحداثة، ص 439.

الفصل الثالث - تقييم الديمقراطية

حالات الاشتباه المتعلقة بتبرير المال العام أو بالغش أو بسوء استعمال السلطة داخل الوكالات التنفيذية تحت نطاق سلطتها.¹ فهذه اللجان البرلمانية بمثابة الدعامة أو الحصانة البرلمانية تعمل على الإصلاح السياسي فهو الغاية المرجوة من الانتخابات .

وكإحدى شروط نجاح الديمقراطية عدم وجوب توسيع مجال القرار السياسي بشكل مفرط ويكون توسيعه في الحدود العامة للطريقة الديمقراطية وتجنب تحول هذه الأخيرة إلى نزوات تشريعية استثنائية إلى جانب وجوب حماية التشريع من نوبات الحقد الانتقامي التي يديرها الفرد العادي في الحكومة وفي البرلمان.²

لا بد من بناء مؤسسات فعالة للحكومة لتقيد تصرفات الحاكم اللامحدودة تقريبا وإخضاع قراراتهم وصفاتهم ذات المسؤولية العمومية والأفقية فالأولى تمثل الانتخاب الديمقراطي والثانية (الأفقية) تكون فعالة تعمل على مراقبة وتقيد وحتى العقاب عند الضرورة ويشمل ذلك السلطات القضائية واللجان البرلمانية.³

الديمقراطية لا تعني الحكم المفرط للحرية ولا وجود فيها لأي رقيب أو حسيب بل هي بحاجة إلى من يراقبها ويحاسبها حتى تضمن استمرارها وبقيائها صامدة أمام الأنظمة السياسية الأخرى لأنها تحمل مسؤوليات لا حصر لها وتنوع مؤسساتي كبير لذا هي بحاجة إلى وجود هيئات أو لجان مراقبة تعمل على مراقبة البرلمان بغرفتيه وكذا الأحزاب السياسية، فإمكانية تحول بعض الأحزاب السياسية إلى أحزاب معارضة وارد ومحتمل تعمل على إسقاط النظام القائم وإقامة نظام سياسي جديد يخالف الأول- الديمقراطية- لأن بعض الأحزاب تعمل لهدف واحد وهو تصفية حسابات وقعت في الماضي ليست سياسية فقط قد تكون عرقية أو قومية والبعض بغية إشعال نار الفتنة داخل البلاد وتشتيتها وقيام حرب أهلية داخل البلاد وهذا ما حصل في الجزائر مع مطلع التسعينيات بسبب غياب الرقابة الحزبية والبرلمانية مما أخلها في حرب أهلية ما يقارب عشر سنوات .

¹ - لاري دايموند: روح الديمقراطية الكفاح من أجل بناء مجتمعات حرة، ص 465.

*-الإصلاح السياسي (Political Reform) :يعني خلق الارادة الفعالة للقيام بإصلاح الإرادة الحاكمة التي تعرف كيف تقود ومتى تفرض الاحترام وحدود هذا الاحترام ،إسماعيل عبد الكافي ، موسوعة المصطلحات السياسية ، ص 45 .

² - جوزيف . أ. شومبيتر: الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية، ص 450، 451.

³ - لاري دايموند: روح الديمقراطية الكفاح من أجل بناء مجتمعات حرة، ص 455، 456.

الفصل الثالث ————— تقييم الديمقراطية

بات من ضروري إطلاع الشعب على كافة المعلومات الصحيحة والواضحة من شؤون الدولة الداخلية والخارجية وهذا ما يتطلب وجود وسائل إعلام هادفة ونشيطة توفر الرأي العام بكافة متطلبات الرأي الحرّ القائم على معلومات صحيحة بناءة تساعد في خلق مواطن قادر على ممارسة الحرية السياسية بأمان.¹

لذا تُعتبر الحرية الإعلامية أو حرية التعبير* داخل الدولة الديمقراطية سلاح ذو حدين من جهة طرح الآراء وإيصال صوت المواطن للسلطات العليا ونقل متطلباته وانشغالاته سواء اليومية وما تعلق بظروف الحياة من توفير مناصب عمل وتوزيع السكن المؤسسات الصحية والتعليمية... إلخ أو ما تعلق منها بالحياة السياسية ومشاركة الأفراد أو العامة من المواطنين في السياسة ليس فقط في العملية الانتخابية واختيار الحاكم بطريقة ديمقراطية ولكن إدراجه في السياسية فيما بعد الانتخابات ونجاح العملية الانتخابية وتعيين الحكام الديمقراطيون من جهة أخرى تعمل بعض القنوات الإعلامية على تشويه السلطة وجعلها بمثابة العدو الأول للمواطن يقتضي على هذا الأخير محاربتها بشتى الوسائل بما في ذلك الغير القانونية كالفوضى والتخريب لمختلف المؤسسات الحكومية.

كما يشترط في الحكومة الديمقراطية في المجتمع الصناعي الحديث أن تكون قادرة على قيادة النشاط العام الذي يشمل خدمات أجهزة بيروقراطية حسنة التدريب وذات مكانة وتقاليد جيدة وموهوبة بحس قوي بالواجب وبروح عمل جماعي لا يقل عنه.²

¹ - نعمان أحمد الخطيب: الوجيز في النظم السياسية، ص 240.

* - حرية التعبير (Freedom of Expression): هي احد الحقوق الهامة في النظام الدولي المعاصر وعني عق الفرد في التعبير عن آرائه ومعتقداته دون تدخل عبر كافة وسائل الاعلام ، اسماعيل عبد الكافي ، موسوعة المصطلحات السياسية، ص172.

² - جوزيف. أ. شومبيتر: الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية، ص 452.

الفصل الثالث ————— تقييم الديمقراطية

المبحث الثالث: أسباب ضعف الديمقراطية

على الرغم من قوة الديمقراطية وتأصلها القديم بداية من العصر اليوناني وازديادها قوة من عصر إلى آخر ومن فترة حكم إلى أخرى إلا أنه لا يُمكن غض النظر عن نقاط الضعف التي تعترتها والتي كانت السبب الأساسي في عدم سيطرتها على العام بأسره بدليل تنوع الأنظمة السياسية في مختلف دول العالم، وتنوع هذه الأسباب وهي:

1- سبب النشأة الأولى:

تعود بوادر ضعف الديمقراطية إلى بداية نشأتها وربما هذا ما حصر انتشارها في مناطق معينة دون السماح لها بدخول باب العالمية واختلاف وجهات النظر حول مزايا الديمقراطية بين محبذ ورافض لها فالفترة الأولى في بداية الأمر لم تستقطب سوى طبقة الفلاحين والعبيد والعامّة من الناس -العامّة الضعيفة- والفترة الثانية الراضية طبقة السادة والأثرياء والأقوياء وهذا ما نجده ينطبق على الديمقراطية في بلاد اليونان.

اعتقد أفلاطون أن الديمقراطية ليست سوى نظام الجهلاء واعطاء بعض الأفراد الجهلاء حق السلطة فهي حق سماوي بطريقتة خاطئة ففي هذا ظلم لممارسة الحاكم على المحكومين، قد يكون هذا الحاكم جاهلا من عامة الناس ليس له أي دراية بالحكم.¹ بمعنى احتمال وصول الجهلة من عامة الشعب إلى أعلى منصب سياسي في البلاد أي منصب الحاكم فيجهل هذا الأخير معاني سياسية عديدة كالعدل والمساواة والمعنى الحقيقي لتوزيع الحرية وفرض الواجبات ومنح الحقوق للمواطنين وخدمة الصالح العام، فالدولة لا يحكمها أي كان، فالحاكم ما يميزه عن غيره من الرجال أولى هذه المميزات الحكمة والذكاء والفتنة والحنكة السياسية في إدارة شؤون البلاد منصب الحاكم على الرغم من بريقه اللامع إلا أنه أصعب المناصب وأسود الكراسي التي يمكن أن يجلس عليها الرجال.

¹ - أرنست باركر: النظرية السياسية عند اليونان ، ص 262.

الفصل الثالث ————— تقييم الديمقراطية

2-السبب الاقتصادي:

اقتزنت في أذهان الشعوب فكرة الديمقراطية بصور الشقاء والآلام والضيق الاقتصادي ولم يكن عجباً أنّ تدوي الديمقراطية وتذبل في الأمم التي لم تكن قد ألفتها وتأصلت فيها.¹ بضعف الاقتصاد في حالة توزيعه بشكل الواسع وإدراج جميع المواطنين في العملية الاقتصادية فالكثير من المواطنين يجهلون كيفية التي يتماشى بها سوق العمل ، فالإقتصاد لا يعتمد فقط على الثروات باختلاف أنواعها الحيوانية، النباتية، المعادن والطاقة والمناجم... الخ بل يحتاج أيضاً إلى أصحاب الخبرة الاقتصادية والمتخصصين في ذلك لأن سوق العمل له شروطه ومميزات لا يدركها إلا ذوي الخبرة الاقتصادية.

ظهرت الأزمة الديمقراطية وعدم قدرتها على مواءمة المستجدات بين الحريين العالميتين الأولى والثانية وظهرت أزمة اقتصادية واجتماعية وقفت الديمقراطية عاجزة أمام هذه الأزمات ويعود ذلك إلى الأسس الفلسفية التي ارتكزت عليها الديمقراطية.²

3-السبب السياسي: الديمقراطيات ذات الأداء الضعيف ومنها الديمقراطيات الزائفة ترجع إلى وجود

مؤسسات منشرة على الورق مقتصرة في أدائها لواجباتها الأفقية التابعة للدولة لأن بعض المؤسسات الحكومية تتصف بالفساد.³

الفساد المؤسساتي في الحكومة الديمقراطية إحدى أكبر النقاط الضعف والهوان المهديد بسقوط الديمقراطية ومطالبة الشعب بهذا، فالديمقراطيات المعاصرة اليوم لها العديد من المؤسسات الوهمية موجودة فقط على الأوراق ولا مكان لها على أرض الواقع وهذا راجع إلى الفساد السياسي الذي تعاني منه الأنظمة الديمقراطية شكلياً تكون دولة ديمقراطية يتم اختيار حاكمها ونوابه بطريقة حرة وديمقراطية، لكن مضمون هذه الدولة لا يعرف

¹ - علي أدهم: المذاهب السياسية المعاصرة، ص 37.

² - عصام سليمان: مدخل إلى علم السياسة، ص 222، 223.

³ - لاري دايموند: روح الديمقراطية الكفاح من أجل بناء مجتمعات حرة، ص 460.

الفصل الثالث ————— تقييم الديمقراطية

الديمقراطية أصلاً يفعل ما يشاء بالبلاد والعباد دون الرجوع إلى الشعب واستشارته في أخذ بعض القرارات المتعلقة بكليهما الدولة والشعب.

ما يضعف الديمقراطية المشاركة السلبية لغير فعالة تقتصر على الانتخاب فقط بل لا بد من المشاركة الفعالة للمواطنين والمطالبة بتمثيل مصالحهم لأن المشاركة السياسية لا تساوي الكثير باستثناء التصويت في بعض الأحيان لأن السياسة تبقى تحت الهيمنة الشديدة للنخبة ولأنها فاسدة ولا تستجيب لحاجيات الشعب وهذا ما نجده في دول جنوب إفريقيا وأمريكا اللاتينية.¹

أكبر ما يهدد الديمقراطية ويُضعفها هو عامل القوى السياسية و من في السلطة، ولكن لكي لا تنشأ المعارضة يجب أن يكون للسلطة الحاكمة سياسة منظمة وواضحة فلا تنشأ هذه المعارضة السياسية إلا في المجتمعات التي بلغت مستوى لا بأس به من التطور والنمو ولا تأخذ المعارضة شكلها الحقيقي إلا بعد التيسر الفعلي للمجتمع.²

تعد المعارضة السياسية من أكبر الأسباب التي تهدد الديمقراطية وتتعد بفنائها لا شيء سوى لأنها ينبع من داخل الديمقراطية فالأفراد المشكلون للمعارضة يعيشون داخل الدولة الديمقراطية جنباً إلى جنب ومؤيدين لها يعمل الأفراد المشكلين للمعارضة جاهدين للتأثير على مؤيدي الديمقراطية وفي هذه المحاولة إمكانية حدوث اشتباكات بين الطرفين وفي هذه الحالة تتدخل الأحزاب السياسية بشقيها المعارضة والمؤيد للنظام الديمقراطي.

فالأحزاب تشكل خطراً على الديمقراطية عندما تأخذ منحى عسكرياً أو طائفياً أو مذهبياً أو عرقياً لأن لجوء الحزب إلى القوة العسكرية يُشل الحوار السياسي ويقضي على الحريات، كما أن إطلاق الدعوات الطائفية والمذهبية والعنصرية يناقض مبدأ المساواة الذي هو إحدى المبادئ الديمقراطية الأساسية.³

¹ - لاري دايموند: روح الديمقراطية الكفاح من أجل بناء مجتمعات حرة، ص 456.

² - عصام سليمان: مدخل إلى علم السياسة، ص 257.

³ - نفسه، ص 256.

الفصل الثالث ————— تقييم الديمقراطية

يتحول عمل الديمقراطية إلى عمل مُؤذي وسلي في حال تمزق الأمة وانقسامها إلى معسكرين متعاديين وقد تتوقف عن العمل حالما يرفض الشعب التسوية حول المصالح والمثل العليا الشمولية فالديمقراطية تكون ضرا في أوقات الاضطراب.¹

ففي حالة اتحاد الأمة وتماسكها كانت الديمقراطية في أقوى عهودها ولكن سرعان ما تتحول هذه القوة إلى ضعف وتحول المجد إلى ذُل وهوان بسبب تفكك هذه الأمة وترامي أطرافها وغياب الوحدة ولا يقصد هنا بوحدة الأمة القومية، فانقسام الأمة إلى معسكرين متعاكسين ومتعاديين تتمزق الديمقراطية وتنشطر منذ فترة الإصلاح من طرف الشعب بعد هدوءه واتحاده.

إنَّ فرص الديمقراطية ضعيفة في النظام التسلطي يكون المحتجون فيه معزولين، كما يرجع سقوط الأنظمة التسلطية إلى تفككها الداخلي أكثر منه إلى نجاح حركات المعارضة الشعبية وهذا ما يؤدي في النهاية إلى انتصار سلمي تقريبا لديمقراطية مختزلة إلى اختيار سياسي وهذا ما حدث في الاتحاد السوفيتي بعد فشل انقلاب صيف 1991م².

إن ممارسة الديمقراطية من الداخل عن طريق تطورات قد نجعلها تقع ليس في الفوضى فقط بمقدار ما هو في الاستبداد، ولكن في المنافسة لا ينطلق الأفراد في الفرص نفسها.³ مبدأ المساواة في الديمقراطية مبدأ غير محقق لأن الأفراد ليسوا متساوين بالطبيعة على قدر ما هم مختلفين بالطبيعة والاختلاف سُنة كونية لا يمكن تجاهلها، هنالك فوارق واضحة وجليّة بين الأفراد منها الفوارق الاجتماعية نفسها، وبالتالي لا يمكن للمواطنين أن ينطلقوا من نقطة واحدة وتعدد نقاط الانطلاق يعني الاختلاف في نقطة الوصول وهذه هي أصل الفوارق و اللامساواة في الدولة الديمقراطية.

¹ - جوزيف. أ. شومبيتر: الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية، ص 457.

² - آلان تورين: نقد الحدّثة، ص 440.

³ - فليب تابان وجان فرانسوا دورتيه: علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات، ص 32.

الفصل الثالث — تقييم الديمقراطية

يقول آلان تورين: "إن اجتماع الصفة التمثيلية المواطنة وتحديد السلطة بواسطة الحقوق الأساسية ليس بكاف في كافة الأحوال لإنشاء الديمقراطية".¹

يرى آلان بأن الديمقراطية تبقى ناقصة في حالة اجتماع الصفة التمثيلية والمواطنة والحقوق الأساسية لأنها أوسع من هذا فصفا الإرغام التي تجمع بين أبعاد الديمقراطية الثلاث تتحول إلى السلبية والمغالاة وتفقد فاعليتها ولا تعطي الديمقراطية ثمارها المرجوة على الرغم من اتحاد أبعادها الثلاث.

ومن بين الساخطين على النظام الديمقراطي نجد **توماس كارلايل** مهد السبيل لمهاجمة الديمقراطية فقد فسر التاريخ تغييرا يقوم على صنيع "الفرد البطل" واستخف بالمجالس النيابية ونعتها بأنها "حوانيت للثرثرة".² أما آلان فيرى سبب الضعف الديمقراطية يعود إلى النواب أنفسهم، لذا يقول آلان تورين: "إنّ الوصف لا يسعه إلا أن يصيب الديمقراطية إذا لم تعد صفة تمثيلية وبالتالي إذا أضحى الفاعلون الاجتماعيون عاجزين عن صياغة مطالب وآمال"³ يرجع آلان تورين ضعف الديمقراطية إلى عجز الفاعلين الاجتماعيين وعدم كفاءة هؤلاء وعدم قدرتهم لتغطية المكان الذي يشغلونه ففي هذه الحالة تغيب الديمقراطية بين الشعب والحاكم بسبب عجز همزة الوصل بينهما.

4-السبب الثقافي: يعتبر الجانب الثقافي إحدى أسباب ضعف الديمقراطية وأهمها إضافة للجانب السياسي، فالثقافة المتعددة والواسعة إحدى شروط نجاح الديمقراطية ولكن في حالة عدم تقبل ثقافة الآخر وحصره ضمن حدود ثقافية تفرض عليه من قبل المجتمع الذي يعيش فيه ففي هذه الوضعية تغيب الحرية الفردية ليسود القيد الاجتماعي متخفيا باسم الصالح العام أو الوحدة.

لم تستطيع الديمقراطية أن تحتاح العالم وبقيت محصورة في جزء منه دون كله فالصين مثلا خلال أربعة آلاف سنة من الحضارة الشهيرة له لم يجرب الشعب الصيني الثقافة الديمقراطية ولا مرة واحدة.⁴ وبسبب ذلك يعود للثقافة الصينية ومدى تمسك شعبها بها ربما لأنها ثقافة روحية أكثر من كونها ثقافة سياسية فهي ثقافة

¹ - آلان تورين: ما الديمقراطية، ص 49.

² -علي أدهم: المذاهب السياسية المعاصرة، ص 71.

³ - آلان تورين: ما الديمقراطية؟، ص 188.

⁴ - روبرت. أ.دال: عن الديمقراطية، ص 134.

الفصل الثالث — تقييم الديمقراطية

منغلقة على ذاتها، أصبحت اليوم تشكل خطرا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية بسبب قوة إتحاد شعبها وتمسكه بثقافته ورفضه لفكرة التنميط سواء كان ذلك التنميط على الشاكلة الأوروبية أو الشاكلة الأمريكية.

يقول آلان تورين: "إن تفكك عناصر الديمقراطية قد تتسارع اليوم فالمواطنة صارت هوية ثقافية وتحول وضع حدود للحكم عبر حقوق أساسية إلى انفصال الحياة الخاصة عن الحياة العامة إما تمثيل المصالح فقد انحط غالبا نحو انصهار معنى حياة جديدة بين الدولة والطبقات الاجتماعية السابقة"¹.

يرى آلان بأن الهوية الثقافية المكونة نتيجة تفكك عناصر الديمقراطية تتحول المواطنة إلى هوية ثقافية لكل مواطن هويته الثقافية التي تميزه فأمام هذه المواطنة الجديدة تصعب على الديمقراطية مهامها لتباين الحياة الخاصة والحياة العامة للمواطنين أنفسهم وكذا للحاكم الديمقراطي.

كما نجد من بين المشاكل الثقافية التي حالت دون نجاح الديمقراطية الثقافية الجنسية والتمييز بين الجنسين الذكري والأنثوي ما دام كل من الذكر والأنثى لهما صفة الإنسانية فإنهما يتمتعان كذلك بصفة المواطنة. يقول آلان تورين: "لقد ضعفت الديمقراطية في فرنسا بسبب رفض منح النساء حق الانتخاب مدة طويلة، وغالبا ما استخدمت لشرعنة حكم الأوليغارشيا أكثر منها لإنشاء نظام سياسي تضبط فيه الأكتورية السلطة التنفيذية من خلال التمثيل البرلماني أو الاستفتاءي"². بمعنى أن ثقافة تغليب الرجال على النساء ثقافة تهدد الديمقراطية خاصة في العملية الانتخابية وليست هذه الثقافة السلبية في الجنسية تقتصر على دول العالم الثالث بما فيها الشرق الأوسط وجنوب إفريقيا بل نجدها متفشية داخل الدول الغربية الكبرى التي لطالما أدعت أنها دول عادلة ومثقفة وتعطي كل إنسان حقوقه الإنسانية على الرغم من كل تلك الفوارق بما فيها الجنسية، لكن تلك الدولة التي لطالما وصفها الغرب بالدولة المتخلفة —الدول الإسلامية والعربية— كانت السبابة في المساواة بين الجنسين وتقبل الآخر بهويته، بل على العكس شجع الإسلام على ضرورة التعايش مع الآخر وتقبله بثقافته وهويته، فعلى سبيل المثال نجد بلاد الشام تعايش فيها المسلم والمسيحي كل على دينه والدين اليوم أصبح إحدى الصور الثقافية فتثقافة المسلم تختلف عن ثقافة اليهودي والمسيحي وهذا الأخير بدوره

¹ - آلان تورين: ما الديمقراطية؟، ص 188.

² - آلان تورين: نقد الحداثة، ص 106.

الفصل الثالث ————— تقييم الديمقراطية

تختلف ثقافته عن ثقافة غيره من المسلمين واليهود، في كنف من السلام والتآلف رغم الاختلاف ولكل فرد هويته الثقافية على أنه يتمتع بنفس الحقوق المدنية التي يتمتع بها غيره ولم يتم إقصاء أي أحد من العملية الانتخابية مثلما حدث في فرنسا لتي قيل عنها دولة القانون ولحقوق .

الديمقراطية تحتفظ بقدر كاف من المساواة السياسية مع الاعتماد على الخبراء ومعرفة الخبرة في اتخاذ القرارات العامة يشكل مشكلة خطيرة ومن الغباء أن يتجاهلها دعاة حكومة الديمقراطية.¹ اعتبرت المساواة إحدى أهم الركائز التي تركز عليها الديمقراطية إضافة إلى العدالة فهي الغاية المرجوة بين النظام الديمقراطي والديمقراطية هي كليهما عدالة ومساواة في آن واحدة فكل من العدالة والمساواة يكملان بعضهما البعض، إلا أنها غير محقق بالمعنى الذي تم إدراجه في إحدى تعريفات الديمقراطية كنظام سياسي عادل بين المواطنين ومساوي لهم في جميع الحقوق والواجبات.

على الرغم من الإيمان بها إلا أن هنالك من يؤمن إيمانا قويا بالمساواة ويعلق آمال كبيرة بالنظام الديمقراطي ليحقق أحلامه وآماله في ظل هذا النظام، والفئة الطامعة في ذلك هي فئة العوام الطامعين في مساواتهم مع فئة المتميزة في الدولة — أصحاب القوة والمال والنفوذ — بصفة عادلة فلا أستطيع أن أقول عنها إن كانت فئة تستحق فعلا أن تسوى مع غيرها من باب الإنسانية أم أنها فئة من المستحسن أن تبقى في مكانها.

يقول ونتسن تشرشل: " الديمقراطية هي أسوأ نظام، ولكنها أفضل أسوأ الأنظمة المتاحة الديمقراطية في نهاية الأمر الاعتراف بحدود قدرات الإنسان وقصوره، ولكنها تسمح أيضا بالشعور السلمي والإفادة من التجارب السابقة دون الادعاء بالوصول إلى الكمال"². على الرغم من الديمقراطية لم تستطيع أن تطبق مبدأ العدالة بشكل كلي بين الأفراد وإخفاقها في المساواة بين هؤلاء الأفراد إلا أنها بحاجة لكل من العدالة والمساواة لمواصلة انتشارها في مختلف بلدان العالم.

¹ - روبرت. أ.دال: عن الديمقراطية، ص 68.

² - حازم البيلاوي: عن الديمقراطية الليبرالية، ص 35.

الفصل الثالث ————— تقييم الديمقراطية

ومما سبق يمكن القول بأن الديمقراطية عدالة ومساواة في آن واحد، فالعدالة تكون على المستوى القانوني مع الحرص على المساواة بين المواطنين دون تفرقة سواء كان هؤلاء متمينين إلى الدولة القاطنين بها أم مهاجرين إليها، فالمهم هنا هو تطبيق العدالة وتساوي بين المواطنين ، لكن شتان بين التنظير وتطبيق حتى الدول المشرع للقوانين الديمقراطية التي تظل رافعة لشعارات الحرية والمساواة والعدالة فهي تظلم بعض الأقليات، والمقصود هنا الأقليات المسلمة المتواجدة خارج بلدان المسلمة خاصة الغرب المسيحي فهو يقصي هذه الأقليات من رحمة نظام الديمقراطي على عكس العلم الإسلامي الذي يمنح شرعية الحقوق المدنية لغير المسلمين في بلاد الإسلام وهذا مقام به سيد الخلق صلى الله عليه وسلم قبل أن يفكر فيه الغرب مجرد تفكير بقرون .

فعلى الرغم من البريق الذي يلمع الديمقراطية إلا أنها كغيرها من لنظم السياسية لها ما لها وعليها ما عليها وربما أكبر ما يعيبها الكثرة ومنح الحرية المفرطة للمواطنين مع وجود بعض القوميات الصغيرة في عدد أفرائها القوية في بنائها والمتأصلة في تاريخها من الصعب إقناعها بانتهاج النظام الديمقراطي كنظام سياسي لها لذا تبقى الديمقراطية عاجزة ن اجتياح العلم بأسره .

خاتمة

الخاتمة:

أثناء عملي هذا المتمثل في " مفهوم الديمقراطية عند آلان تورين " وبعد تحليلي ومحاولة فهمي للديمقراطية عند آلان تورين أدركت أنه يبحث عن ديمقراطية اجتماعية أكثر منها سياسية لأن الثانية لا يمكن لها أن تتكون وتنجح إلا بوجود الأولى، فآلان تورين أراد أن يبين أن الديمقراطية هي مجمل شروط المؤسساتية التي تسمح لكل فرد أن يتصرف كذات فاعلة فهو لا يبحث عن ديمقراطية سياسية يقتصر فيها دور المواطنين على التصويت الحرّ في اختيار الحاكم ونوابه فقط.

بل الديمقراطية التي أرادها آلان تورين هي الديمقراطية الاجتماعية وكلامه ليس بالغبي بل كلام مؤسس باعتباره عالم اجتماع فهو أقرب من رجال السياسة إلى المجتمع، وهذا ما نلمسه في أغلب الديمقراطيات الحديثة والمعاصرة تنحصر الديمقراطية في زاوية الاختيار الحرّ للممثلين السياسيين في مقاعد البرلمان، ولكن هذا لا يعني أنها دولة ديمقراطية حقة يتطابق فيها المفهوم مع الواقع، لأن الديمقراطية الحقة تلك التي تكون فيه الفاعلية حاضرة وبقوة، فغياب هذه الفاعلية يبتر الديمقراطية لتصبح ديمقراطية عرجاء تتأتى بين رؤساء الأحزاب السياسية وأعضاء البرلمان والحاكم وتغيب بين هؤلاء والمواطنين، لذا لا بُد من اعتراف المجتمع الديمقراطي - رجال السياسة - بالذات الفاعلة في الوقت ذاته يتم الاعتراف بالآخر ليس كشخص بل كذات فاعلة، لأن الديمقراطية تتصف بالروابط الاجتماعية التي تزيد من التلاحم وتقوية الفاعلية، وهذا ما يحتاجه اللاجئ والمهاجر أن يجدوه في الدولة الديمقراطية المتجهين إليها.

فلا يمكن للديمقراطية أن تحرز تقدما بغياب الفاعلية الاجتماعية كما هو الحال في دول العالم الثالث لا توجد أي فاعلية حقيقية بين المواطنين وزعماء التمثيليين وإن وجدت فهي شكلية فقط وليست فعلية شعارات ومسميات ليس إلا.

فعلى الرغم من الزوال الظاهري للقومية إلا أنّ بذورها لا تزال منتشرة في العالم وهي إحدى العوائق الكبرى التي تعطل عمل الديمقراطية وتحول بينها وبين نشاط بعض الأحزاب والجمعيات، فأبعاد الديمقراطية الثلاث تتألف فيما بينها لتشكيل الديمقراطية، فالحقوق الأساسية للمواطنين لا يتمتعون بها إلا في دولة ديمقراطية باعتبارها دولة الحقوق والقوانين، فشعور المواطن بضمن حقوقه يدفع به إلى أداء واجبه فمن غير المعقول أن تطالب الدولة المواطنين بالواجبات دون أن تمنحهم حقوقهم الأساسية كالحق في المشاركة السياسية، والترشح للانتخابات كما

يحق لهم ترؤس الأحزاب ولهم أيضاً حق معارضة السلطة في حالة تقييمها بالفشل، ولا يتمتع المواطن بصفة المواطنة إلا بإقحامه في العملية السياسية وتمتعته بشرعية مواظنيه بصفة فعالة وإيجابية ينشط نشاط سياسي ديمقراطي وفعال.

يتخذ الزعماء التمثيليين مكانة هامة وأساسية في الديمقراطية عند آلان تورين فهم نواب المواطنين في المجالس النيابية والبرلمانية، لتكون همزة وصل بين الزعماء والحاكم الديمقراطي، فالمواطنون يمنحون ثقتهم التامة لهؤلاء الممثلين بإيكا لهم قضاياهم السياسية وانشغالهم حول السياسة مؤكداً بذلك تلاحم بين الممثلين والفاعلين الاجتماعيين لأن الفاعلين الاجتماعيين هم الأقرب للمواطن والمجتمع من الممثلين إلا أن الزعماء التمثيليين أقرب إلى السلطة.

تتحقق هذه الأبعاد في الصور الثلاث للديمقراطية-مباشرة، نيابية تمثيلية، شبه مباشرة- وتعد الديمقراطية المباشرة هي الأقرب لتحقيق الديمقراطية، بمعنى توافق بين التعريف والتطبيق، لكن هذه الصورة تحدث نوع من الفوضى لأن بعض المواطنين على درجة ضئيلة من الثقافة السياسية ومن غير المعقول إدراج الكل ضمن العملية السياسية، فالكثرة تسبب مغالطة في الأحكام والأحزاب بعدها -ديمقراطية مباشرة- الديمقراطية التمثيلية أو النيابية يقوم فيها نواب الشعب بحل القضايا الشائكة مع إيصال اهتمامات المواطن وانشغالاته للسلطات العليا، يبرز الدور الفعال لنواب الشعب أو هؤلاء التمثيليين في مدى فاعليتهم ونشاطهم، فليس أي شخص عادي يمكنه أن ينوب عن المواطنين، يُشترط في النواب الفاعلية والحنكة السياسية أما عن آخر صور الديمقراطية- شبه مباشرة- وهي ممارسة المواطنين للحكم بطريقة شبه مباشرة أولها الاقتراع العام.

فالصور الديمقراطية الثلاث تقابلها السلطات الثلاث التنفيذية، والقضائية، والتشريعية، فتكامل العملي بين السلطات الثلاث يحقق الديمقراطية فهذه الأخيرة لا يمكن لها أن تؤدي عملها بعيداً عن إحدى السلطات فالسلطة التشريعية تعمل على التشريع وسن القوانين وكتابة المواد القانونية والسائر لمنفذها السلطة التنفيذية بحذافيرها، في الوقت الذي تبقى فيه السلطة القضائية تُصدر أحكام القضاء ما تعلق بقانون العقوبات لأن البرلمان المنتخب بعرفته يمارس السلطة الفعلية فهو لا يقتصر على إبداء الرأي فقط بل محاولة تطبيق هذه الآراء، فالآن تورين يرى بأن عمل السلطات الثلاث بمثابة الحلقة أو السلسلة المترابطة فالسلطة التشريعية تؤثر على السلطة التنفيذية وهذا يكمن في دور الأحزاب السياسية.

فالديمقراطية بكل مؤسساتها تسعى إلى إقامة عدالة حقبة بين المواطنين وإقامة مساواة بينهم دون تفریق بين المواطنين على اختلاف شاكلتهم، لأن الديمقراطية تعني حرية الأفراد فمن التناقض أنّ تنادي بالحرية ولا تساوي بين مواطنيها من جهة أخرى بسبب الاختلاف الحاصل بينهما، لأن من مميزات التعدد الثقافي والتنوع العرقي والجنسي وهذا ما عبر عنه آلان تورين بصيغة الاندماج الديمقراطي، وعلى الرغم من كل إيجابيات الديمقراطية إلا أنّها تعاني من نقاط ضعف عديدة منها الكثرة والتنوع الذي تقبله في البداية قد يتحول بالسلب عليها وظهور الأحزاب كما يؤدي غياب لجان متخصصة في رقابة السلطة وعمل الزعماء التمثيليين إلى ضعف الديمقراطية ولعل هذا ما جعلها في بعض البلدان - دول العالم الثالث - تأخذ الشكلية فقط دون الفعلية وهذا ما أعاق انتشارها في العالم بأسره.

إنّ المفهوم الجديد الذي قدمه آلان تورين مفهوم خاص بالديمقراطية عنده هي تلك الفاعلية القائمة بين المواطنين والزعماء التمثيليين ، فهو يربط بين الفاعلية الاجتماعية والسياسية ببعضهم البعض ، شرط أن يكون هؤلاء المواطنون على درجة عالية من الوعي الفكري والاجتماعي والسياسي فالديمقراطية عند آلان تورين ديمقراطية ثقافية اجتماعية ومن ثم سياسية .

-فهرس المصطلحات :


- الأحزاب السياسية (Parties)، ص: 72، 74، 78.
- أرستوقراطية (Aristocatie)، ص: 07، 10، 12، 27.
- الإصلاح السياسي (PolitcalReform)، ص74.
- الأقليات القومية (Ninorities)، ص 69.
- الأمة (Natio)، ص: 52، 53، 93.
- الانتخاب (Sétection)، ص: 29، 36، 38، 42، 44.
- الايدولوجيا (Idéologi)، ص24.
- الثقافة (Culture)، ص: 68، 72، 80.
- حرية التعبير (Freedom of Express)، ص75.
- الحكم البرلماني (GovermentParliamentay)، ص: 47، 55.
- الحل السياسي (Politco Solution)، ص 59.
- الذات الفاعلة (SubjectSejet)، ص: 33، 36، 37.
- الرأي العام (Public Opinion)، ص: 40، 77.
- السلطة الشرعية (Autorité)، ص 42.
- السوفسطائية (Lasophistique)، ص 10.
- السياسية (Politique)، ص: 50، 51، 53، 70، 76.
- الشعب (People)، ص: 29، 30، 34، 36، 40، 42، 53.
- العدالة التوزيعية (Justice Commun Ltative)، ص: 35، 54، 61، 62.
- فصل السلطات (Séparations of Power)، ص: 50، 59.
- القومية (National)، ص: 04، 05، 16، 20.
- المساواة (Egalite)، ص: 10، 11، 31، 32، 36، 68، 70.
- المشاركة السياسية (BrticipationPoltical)، ص 48.
- المصلحة السياسية (Political Reconcitiaion)، ص: 40، 44.
- المصلحة العامة (Public Interest)، ص55.

• الهيئة الانتخابية (Electorate)، ص 50.

فهرس الأعلام :

- آدم سميث (Adam .S)، ص 26.
- أرسطو (Aristot)، ص: 12، 13.
- أرنست رينان (Renan Ernest)، ص 32.
- أفلاطون (Platon)، ص: 07، 11، 35، 62، 66، 76.
- آلان تورين (Alan Touroine)، ص: 08، 13، 20، 35، 38، 44، 48، 56، 59، 65، 78....
- ألكسي دو توكفيل (Alexis De Tocqneville)، ص: 35، 67.
- بركليس (periceles)، ص 9.
- بيزازتراتوس (Peistratus)، ص 08.
- توماس كارلايل (Thomas Carlyle)، ص 80.
- توماس هوبز (Hobbes Thomas)، ص: 16، 17، 25.
- جان جاك روسو (J.Roussen)، ص: 16، 17، 18.
- جان كالفن (Jean Calvin)، ص 15.
- جورباتشوف (Gerba.T)، ص 23.
- جورج بيردو (Jeurj .B)، ص 68.
- جون رولز (GonnRawls)، ص 64.
- جون ستيورت (ميل J.S .Mil)، ص 53.
- جون لوك (Look jon)، ص: 16، 25.
- سقراط (Socrates)، ص: 10، 11.
- شارل دوردموزا (Charal)، ص 26.
- شارل موراس (Charles-Maurice)، ص 20.
- صولون (Solon)، ص: 08، 09.
- فرانسيس فوكوياما (Francis Fukuyama)، ص: 35، 44.
- فرانثيسكو فرانكو (Francisco Franco)، ص 23.

- فراينشكه، ص 22.
- بكليستين(Clisthen)، ص09.
- كليون (Cleon)، ص9.
- كير (Kerr)، ص 20.
- لويس كروبيه (Lwiss .k)، ص 26.
- لينين (Vladimir Lenin)، ص 23.
- مارتن لوثر (Lethr Martin)، ص 14.
- نابليون (Napoleon)، ص 21.
- هرنشو (Hearnshaw)، ص 34.
- هيجل (Hegel.W.F) ص 18.
- ونستون تشرشل (Winston Churchill)، ص 82.
- يورغن هيرماس (JerjenHappermas)، ص : 33، 34



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع :

أولاً:المصادر

1. القرآن الكريم

2. آلان تورين : ما الديمقراطية؟، ترجمة عبود كسوحة ،دراسات فلسفية ،منشورات وزارة الثقافة، دمشق سوريا، دط، 2002م.

3. _____ : براديجما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة جورج سليمان، مراجعة سميرة ريشا ،المنظمة العربية للترجمة، ط1، شارع البصرة ،بيروت لبنان ،2011م.

4. _____ : نقد الحداثة ،ترجمة أنور مغيب ،ط1، المجلس الاعلى للثقافة ،باريس ، ط1، 1992م.

ثانياً: المراجع

1. ارسطو : السياسات ،ترجمة الأب اوغسطين البربارة البولسي ،اللجنة الدورية لترجمة الروائع الانسانية ،د ط ،1957م.

2. ارنست باركر : النظرية السياسية عن اليونان ،ترجمة لويس اسكندر ،مراجعة محمد سليم سالم ،مؤسسة سجل للعرب ،القاهرة ، د ط،1966م.

3. أشرف منصور : الليبرالية الجديدة جذورها الفكرية و أبعادها الاقتصادية ،سلسلة الفكر ،الهيئة المصرية للكتاب ،د ط ،2008م.

4. أميرة حلمي مطر : الفلسفة السياسية من افلاطون الى ماركس ،دار المعارف ،ط5 ،القاهرة مصر ،1995م.

5. _____ : الفلسفة اليونانية تاريخها و مشكلاتها ،دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، مصر،ط جديدة، 1998م.

6. انطوني ديكريسييني و كينيث مينوج : أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة ترجمة و دراسة تضار عبد الله ،اشراف سمير سرحان ،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د ط،1966م.

7. ايريك هوزياوم : العولمة و الديمقراطية و الارهاب ،ترجمة اكرم حمدان و نزهت الطيب ،الدار العربية للنashرون .م.ل ،الدوحة قطر، ط1 ،2007م.

8. جان توشار : تاريخ الأفكار السياسية - الاشتراكية - الليبرالية - القومية - السلفية ، ج3 ، ترجمة ناجي الدرواشة ، دار التكوين للتأليف والترجمة و النشر ، دمشق سوريا ، ط1 ، 2010م .
9. _____ : تاريخ الأفكار السياسية من اليونان الى العصر الوسيط ، ج1 ، ترجمة ناجي الدرواشة ، دار التكوين للتأليف و الترجمة و النشر ، دمشق سوريا ، ط1 ، 2010م .
10. جوزيف .أ . شومبيتر : الرأسمالية و الاشتراكية و الديمقراطية ، ترجمة حيدر حاج اسماعيل ، مركز دراسات الوحدة العربية للترجمة ، بيروت لبنان ، ط1 ، آذار 2011م .
11. جوزيف إيستين : ألكسي دوتوكفيل المرشد الى الديمقراطية ، ترجمة سميحة ممدوح الشامي ، مراجعة اسماء محمد عادل ، كلمات عربية للترجمة و النشر ، القاهرة ، ط1 ، 2001م .
12. جون رولز : العدالة كإنصاف - إعادة صياغة - ، ترجمة حيدر حاج اسماعيل ، مراجعة ربيع شلهوب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان ، ط1 ، كانون الأول 2009م .
13. حازم البيلاوي : عن الديمقراطية الليبرالية قضايا و مشاكل ، دار الشروق ، ط1 ، 1993م .
14. خديجة زيتيلي و آخرون : الفلسفة السياسية قضايا و اشكاليات ، منشورات الضفاف و الاختلاف ، دار الأمان ، شارع حسبية بن بوعلي الجزائر العاصمة ، ط1 ، 2014م .
15. ريموند بولان : الأخلاق و السياسة ، ترجمة عادل العول ، دار الطلاس ، دمشق سوريا ، ط2 ، 1992م .
16. صلاح علي تئوف : مدخل الى الفكر السياسي الغربي ، ج1 ، كلية القانئن و العلوم السياسية الأكاديمية العربية في الدانيمارك ، دت .
17. عبد العزيز بن مرزوق الطريفي : العقلية الليبرالية ، دار الحجاز للنشر و التوزيع ، الاسكندرية مصر ، ط1 ، 2011م .
18. عصام سليمان : مدخل الى علم السياسة ، دار النضال للطباعة و النشر و التوزيع ، ط2 مزيدة ، بيروت ، 1989م .
19. علي أدهم : المذاهب السياسية المعاصرة ، مطبعة المعارف ، مصر ، دت .
20. علي فهمي خشيم : الفلسفة و السلطة و مقالات أخرى ، دار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الاعلان ، طاعلي ليبيا ، ط1 ، 1999م .
21. فرانسيس فوكوياما : نهاية التاريخ و خاتم البشر ، ترجمة حسين احمد أمين ، مركز الاهرام للترجمة و النشر ، القاهرة مصر ، ط1 ، 1993م .

22. فيليب كابان و جان فرانسوا دوريتيه : علم الاجتماع من النظريات الكبرى الى الشؤون اليومية أعلام و تواريخ و تيارات ،ترجمة اياس حسن ،دار الفرقد ،ط1 ،2010م.
23. لاري دايموند : روح الديمقراطية الكفاح من أجل بناء مجتمعان حرة ،ترجمة عبد النور الحراقي ،الشبكة العربية للأبحاث و النشر ،بيروت لبنان، ط1 ،2014م.
24. لوي ألتوسير : مونتييسكيو السياسة و التاريخ ،ترجمة نادر ذكرى ،دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ،بيروت، د ط، 2006 م .
25. مايكل بارانتي : ديمقراطية للقللة ،ترجمة حصة المنيف ،مراجعة منى مطاوع ،تقديم ممدوح عدوان ،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة مصر، ط1 ،2005م.
26. محمد الجبر : الفكر الفلسفي و الأخلاقي عند اليونان أرسطو نموذجاً ،دار دمشق ،ط1 ،1994م.
27. محمد ضياء الدين الرئيس : النظريات السياسية الاسلامية ،دار التراث ،القاهرة مصر ، ط7، د ت .
28. محمد عبد العزيز أبو النجا و آخرون : العلمانية و الليبرالية الديمقراطية الدولة الدنية في ميزان الاسلام ،جمعية الترتيل للخدمات الثقافية الدينية نشاط التوعية الدينية ، اصدار رقم2 ،ط3 ،2011م.
29. مولود زايد الطيب : علم الاجتماع السياسي ،منشورت جامعة السابع من إبريل ،دار الكتاب الوطنية 1 ،بن غازي ليبيا ،ط1 ،2007م.
30. نعمان احمد الخطيب : الوجيز في النظم السياسية ،دار الثقافة ،عمان الاردن ،ط2 ،2011م.
31. وولترستيس : تاريخ الفلسفة اليونانية ،ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ،دار الثقافة للتوزيع ،القاهرة مصر ، د ط، 1984م.
32. جون راولز: قانون الشعوب والعودة إلى فكرة العقل العام، تر محمد خليل، اشراف جابر عصفور، المجلس الأعلى للثقافة، جزيرة القاهرة، المشروع القومي للترجمة، العدد 1074، ط 1، 2007م.
33. جون لوك: الحكومة المدنية وصلتها بنظرية العقد الاجتماعي لجون جاك روسو، تر محمود شوقي الكيال، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، الدار القومية للطباعة والنشر، د ت .
34. لوي شتراوس وجوزيف كروبسي: تاريخ الفلسفة السياسية من جون لوك إلى هيدجر، تر محمود سيد أحمد، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، اشراف جابر عصفور، العدد 810، ط1، 2005م.

ثالثا : الموسوعات و المعاجم

1. ابراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، دط، 1983م.
2. اسماعيل عبد الفتاح الكاكي : الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية (عربي انجليزي).
3. جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية.
4. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، د ط ، بيروت، لبنان، 1982م.
5. _____: المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، د ط ، بيروت، لبنان، 1982م.
6. جورج طرايشي : معجم الفلاسفة (المناطقة-المتكلمون-المتصوفون) ،دار الطليعة ،بيروت،ط2 ، 1997م.
7. زكي نجيب محمود وآخرون: الموسوعة الفلسفة المختصرة، دار القلم، بيروت، لبنان، دت.
8. علي عبود المحمداوي وآخرون: موسوعة الأبحاث الفلسفية الفلسفة الغربية المعاصرة، ج2، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، منشورات الضفاف، منشورات الاختلاف، الرباط، المغرب، ط2 ، 2013م.
9. مراد وهبة : المعجم الفلسفي ،دار قباء الحديثة للطباعة و النشر و التوزيع ،القاهرة ،ط7، 2007م.
10. سوسان إلياس: الموسوعة العربية -مختارات اجتماع فلسفة وعقائد، ج2، د ط، الاسكندرية، (pdf).
11. علي حامد: الموسوعة العربية مختارات فلسفة إجتماع عقائد، ج1، د ط، الاسكندرية ، (pdf).

رابعا: المجالات:

1. امام عبد الفتاح إمام: الطاغية دراسات الفلسفة لصور من الاستبداد السياسي، سلسلة الكتب الثقافية، كتب الثقافة الشهرية، العدد183، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دار عالم المعرفة.
2. فرانسوا شاتولي: تاريخ الأفكار السياسية، تر خليل أحمد خليل، تحرير رضوان السيد، سلسلة غير دورة تصدر عن مجلة كتاب الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، سلسلة الدراسات التاريخية والادبولوجية 2، بيروت، ط1، 1984م.

خامسا: الرسائل:

- 1- موزة أحمد راشد العبار: البعد الأخلاقي للفكر السياسي الإسلامي عند الفارابي والماوردي وابن تيمية، دراسة تحليلية نقدية في الفلسفة السياسية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة، جامعة الإسكندرية، 2000م.

فهرس الموضوعات

الموضوع.....	صفحة
الإهداء.....	
شكر وعرهان.....	
مقدمة.....	أ-ج

الفصل الأول

الديمقراطية وتطورها وعلاقتها بالقومية الليبرالية

المبحث الأول: الديمقراطية عبر العصور.....	05
1-العصر اليوناني.....	05
2-العصر الوسيط.....	14
3-العصر الحديث.....	16
المبحث الثاني: نهاية القومية وبروز الديمقراطية.....	19
1-القومية ونهايتها في بعض الدول.....	19
أ- القومية الفرنسية.....	20
ب-القومية الألمانية.....	22
2-بروز الديمقراطية.....	22
المبحث الثالث: الليبرالية والديمقراطية.....	24
1-تعريف الليبرالية.....	24
أ-الليبرالية الفرنسية.....	26
ب-الليبرالية الانجليزي.....	26

الفصل الثاني

الديمقراطية أبعادها وصورها

المبحث الأول: تعريف الديمقراطية عند ألان تورين.....	29
المبحث الثاني: أبعاد الديمقراطية.....	39
1-احترام الحقوق الأساسية.....	49
2-المواطنة.....	42
3-الصفة التمثيلية للزعماء.....	44
المبحث الثالث: صور الديمقراطية.....	48

48	1- الديمقراطية المباشرة.....
50	2- الديمقراطية شبه مباشرة
52	3- الديمقراطية النيابية (تمثيلية)

الفصل الثالث

تقييم الديمقراطية

61	المبحث الأول: الديمقراطية بين العدالة والمساواة.....
62	1- العدالة.....
65	2- المساواة.....
70	المبحث الثاني: مميزات الديمقراطية وشروط نجاحها.....
76	المبحث الثالث: أسباب ضعف الديمقراطية.....
76	1- سبب النشأة الأولى.....
77	2- السبب الاقتصادي.....
77	3- السبب السياسي.....
80	4- السبب الثقافي.....
84	خاتمة
88	فهرس المصطلحات.....
90	فهرس الأعلام.....
97	قائمة المصادر والمراجع.....
98	فهرس الموضوعات.....

تَحْمِيْلُ الْجَنَّةِ
لِلْمَلِكِ الْمَلِكِ
الْمَلِكِ الْمَلِكِ